

محمد محمود الصواف



# أثر الأئمة

في هدم الأمم والشعوب

مع تحيات شباب مسجد الرشيديّة  
الأسبوع الثقافي الأول

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد  
في 18 / ذو الحجة / 1443 هـ  
في 17 / 07 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائي

محمد محمود الصواف

# أثر ألف نوب

في  
مذم الأمم والشعوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . . . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين  
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الأمة العربية والاسلامية تعيش الآن فترات عصيبة .. مليئة  
بالتكاسات والهزائم واشكال التقهقر والتأخر والهزيمة . ولقد تشكل  
الفساد فاخذ اشكالا عديدة وصوراً وانماطاً متعددة ومتنوعة شملت  
حياة الانسان والمجتمع ' ففساد في الادارة والحكم وفساد في النظام  
والسياسة وفساد في الاساليب والبرامج وفساد في المناهج والتربية  
وفساد في الاقتصاد والتجارة وفساد في الاخلاق والقيم وفساد في  
الاسر والبيوت ' فالفساد بكل صورته وأشكاله قد استشرى في مجتمعاتنا  
وضرب بجذوره في تربتنا حتى زالت جذوره جذور الايمان والخير .  
ولقد نتج عن كل ذلك أوضاع غريبة ومشكلات ومعضلات  
كثيرة ملأت علينا الدنيا حتى أصبحنا لا نفكر في مستقبل ولا نخطط  
لأجيال قادمة بل شغلنا الشاغل وهمنا الاكبر هو ايجاد طريق للخلاص  
من هذه المشكلات التي تأصلت جذورها وقويت جذوعها حتى أصبحت  
أشجاراً خبيثة قائمة في مجتمعاتنا ولم يكفينا اننا أوجدنا تلك المشكلات  
بابتعادنا عن ديننا الحنيف وبهجرنا لكتاب الله العزيز وبعيدنا عن  
شرع الله العظيم واقترافنا للذنوب والمعاصي وتساهلنا في ارتكابها  
وبعدنا عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ' لم يكفينا هذا بل تجدنا  
نقصد الشرق والغرب نبحث عن حل لمشكلاتنا . . . فمثلنا كمن  
يسعى لحنقه برجليه وتحقق فينا قوله تعالى « وأتل عليهم نبأ الذي

آتيانه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه...» فالله يرفع العباد منى تمسكوا بدينه ويعز شأنهم ويخذلهم متى أخلدوا الى الارض والطين وارتكبوا المعاصي واقترفوا الذنوب وحكموا الهوى فحيثما ينزل عليهم عقاب الله فتكثر فيهم الفتن والبلايا وتنصب عليهم النكبات والنكسات وتتعدد عليهم أمور حياتهم ومعاشهم .

ونحن اذ نقدم هذا الكتاب الذي كتبه شيخنا الفاضل وأستاذنا الكبير الشيخ محمد محمود الصواف . . . والذي قضى عمره في الدعوة الى الله ونشر الخير والحق والعدل وكان له أكبر الاثر في انتشار الاسلام في افريقيا وشرق آسيا ، هذا الكتاب الذي بين فيه مؤلفه ما للذنوب والمعاصي من آثار عظيمة في المجتمعات والدول نسأل الله تبارك وتعالى أن نكون قد ساهمنا بشيء في توضيح هذا الدين العظيم وكشف جوانبه للناس عليهم يتلمسون الطريق ويهتدون الى السبيل . نقدمه هديه للعالم الاسلامي ليكمل ما أردنا تحقيقه في أسبوعنا الثقافي الأول من بيان لبعض المشكلات التي يعاني منها المجتمع الكويتي كنموذج مصغر للعالم الاسلامي وبيان أسباب هذه المشكلات وكيفية الوصول الى علاج ناجح لها من خلال عرض جانب من جوانب الدين الاسلامي العظيم وإنه لشمعة على الطريق . . . نسأل الله ان يهدينا به ويهدي أمتنا ويعود ركب المؤمنين السائرين الى جنات رب العالمين .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

شباب مسجد ضاحية الرميثة  
(الأسبوع الثقافي الأول)

# تَلَوَاتُ آيَاتِ سُرَّتِ الْبَارَةِ

١ - قال الله تبارك وتعالى في سورة الإسراء :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

٢ - وقال تعالى في سورة القصص :

« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً . وكنا نحن الوارثين » .

٣ - وقال الله تبارك وتعالى في سورة العنكبوت :

« وإلى مدين أخاهم شعبياً فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الأرض مفسدين . فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين . وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل وكانوا مستبصرين . وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض »

وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً  
ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا  
وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . مثل الذين  
اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن  
البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من  
دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس  
وما يعقلها إلا العالمون .

( العنكبوت : ٣٦ - ٤٣ )

• • •

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين العليم الحكيم - اللطيف الخبير بعباده .  
والهادي إلى صراط مستقيم . له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم  
سلطانه . والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وأكمل  
الخلق أجمعين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطاهرين ،  
وصحبه الطيبين ، ومن دعا بدعوته ونهج نهجه وسلك سبيله إلى يوم  
الدين .

وبعد :

فإنه من المعلوم بداهة : أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد من  
خلقه نسب .

وأنه سبحانه : المتفرد في خلقه ، وحكمه . لا يسأل عما يفعل وهم  
يسألون .

وأنه عز وجل : قد بعث الرسل مبشرين ومنذرين ، وهم الهداة  
إلى طريق الله ، والمبلغون لشرائع الله .

وأنه سبحانه وتعالى : قد وضع سنناً ثابتة ، وأحكاماً ظاهرة باهرة  
لا تتغير ولا تتبدل لأحد كائناً من كان .

وأنه سبحانه : سيأكل الخلق أجمعين ، عما كانوا يعملون . لا يترك أحداً حتى يرسله المقربين ، وعباده الصالحين قال تعالى : « فلنأمنن الذين أرسل إليهم ولنأمنن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين » ومن سنن الله الثابتة : أنه من سلك طريق الله وابع دين الله فقد فاز ونجا وماد وقاد وإن كان عبداً زنجياً . ومن ترك هداية الله وسلك طريق الشيطان فقد حبط عمله ، وهلك وضل ضلالاً بعيداً ، وإن كان سيذاً قرشياً .

تلك سنة الله ، ولن نجد لسنة الله تبديلاً ، ولن نجد لسنة الله تحويلاً . وأنه ما نزل عذاب إلا بدين ولا ارتفع إلا بتوبة .

وما يقال عن الأفراد بالنسبة لسنة الله وأحكامه ، فهو نفسه ينسحب على الأمم والشعوب . فالأمة التي تأخذ بأسباب المجد والعز والسؤدد ، وتمشي في طريق النجاة والسلامة مستهدية بهدى الله عز وجل وشرع الله . هذه الأمة تمجد ، وتسعد ، وتنصر . ويعمها الأمن والرخاء ويزيدها الله قوة إلى قوتها وعزة إلى عزها .

أما إذا استدبرت طريق الله ، وجانبت شرع الله وسارت في طريق الهلاك والضلال . هلكت ورضلت وأصابها الذل والهوان ، والخزي والخسران . وعمتها الكروب وهي حصيلة الذنوب وعصيان علام الغيوب .

يقول ابن الجوزي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى :

« إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » قال :

إن الله لا يغير ما بقوم من الكروب حتى يغيروا ما بأنفسهم من  
الذنوب . فلا يكون التغيير إلا بعد التغيير . فبظلمنا وذنوبنا صبت  
علينا المظالم . وهكذا ينتقم الله من الظالم بظالم .

« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن عبدالله الأودي حدثنا أبو أسامة  
إسماعيل بن مسلم عن الحسن « وهو البصرى » قال في قوله تعالى :  
« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » .  
قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( والذي نفس محمد بيده ، ما من خدش عود ، ولا اختلاج عرق ،  
ولا عثرة قدم إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ) نقله ابن كثير  
رحمه الله .

وفي الحديث في تفسير قوله تعالى : « وما أصابكم من مصيبة  
فبما كسبت أيديكم . يا على : ما أصابكم من مصيبة أى مرض ، أو عقوبة  
أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم » ذكره القرطبي في تفسيره .  
والأمثلة في كتاب الله على مثل هذا لا تحصى في كل آية عبرة ،  
وفي كل مثل ساقه الله عن الأمم السالفة بلاغ وذكرى لمن كان له قلب  
أو ألقى السمع وهو شهيد .

والإعراض عن الله عز وجل والانشغال بالدنيا وحدها له نتائج  
وخيمة مظلمة تسوق إلى الهلاك والدمار ، وتنزل معه صواعق العذاب  
الهيون التي تدمر كل شيء أنت عليه .

وأكتفي هنا بثلاثة أمثلة من كتاب الله عز وجل :

# الحمد الأول عاد وثمود

قال الله عز وجل مخاطباً نبيه الحبيب محمداً عليه الصلاة والسلام لينذر قومه وينذر الناس أجمعين أن اعرضوا عن الله ونسوا ما ذكروا به . صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فقال تعالى في سورة فصلت : « فإن اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون » .

فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .

وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » .  
( فصلت آية : ١٢ - ١٦ )

## المسألة الثانية قصة سبأ

وسبأ رجل من العرب كما روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . والعذاب نزل على ولد سبأ حين أعرضوا عن الله وبدلوا نعمة الله كفوفاً ، وأحلوا قومهم دار البوار . بعد أن كانوا ينتقلون من نعيم إلى نعيم ، ومن منزل إلى منزل لا ينزلون إلا في قرية ولا يغنون إلا في قرية آمنين لا يخافون جوعاً ولا عطشاً ، ولا من أحد ظلماً . كما ذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين » فكفروا بالنعمة وبطروا وغرهم الترف وهذا النعيم المتواصل المقيم ، ودعوا الله عز وجل أن يباعد بين أسفارهم وأن يجعل بينهم وهم في اليمن . وبين القرى التي بارك الله فيها وهي في الشام وهي قرى متواصلة كثيرة الماء والشجر . دعوا الله أن يجعل بينهم وبين هذه القرى فلولات ومفاوز ، وتمنوا أن يركبوا فيها الرواحل ، ويتزودوا الأزواد . فشتتهم الله عندما بطروا نعمته ، وأعرضوا عن أمره ، ومزقهم شر ممزق وقال : « فجعلناهم أحاديث »

للناس يضرب بهم المثل في النشبت والتمزق والضياع . حتى ضرب  
بهم المثل وقيل : « تفرقوا أيدي سبا » وقطعهم الله في البلاد كل  
تقطع ، حيث أذهب الله عزهم ، ومجدهم ، وأرواحهم وأوطانهم ،  
وشنتهم في البلاد ، وفرقهم بين العباد كل ذلك لإعراضهم عن الله وبطو  
النعمة وكفرانها وإليكم وصفهم في كتاب الله في سورة سبا ، وقد  
سميت السورة باسم سبا لعظم ما فيها من العبرة والذكرى لمن اعتبر  
قال الله تبارك وتعالى : « لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين  
وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .  
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات  
أكل خيط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا  
وهل يجازى إلا الكفور . وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها  
قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير . سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين . فقالوا  
ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم  
كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . ولقد صدق عليهم  
إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين » .

(سبا آية : ١٤ - ١٩)

• • •

## المثل الثالث قصة أهل ضروان

وهذه قصة ظاهرة ، ومثل بارز قدمته لنا آيات الله في سورة القلم من أهل هذه القرية « ضروان » وهي من قرى اليمن وقد ترادفت الأحاديث عن هذه القصة وتناقل الرواة حديثها . وهي قصة أصحاب الجنة « البستان » التي احترقت وهبكت بذنوب أصحابها عندما خانوا وصية أبيهم الرجل الصالح . وهي قصة نفر من الشباب الجاحد المعاند الذين غرتهم الحياة الدنيا ، وأعماهم المال ، وطمى عليهم حبه . فنسوا الله ، فهلك المال وأسقط في أيديهم .

لقد كان صاحب هذه الجنة رجلاً صالحاً كريماً معطاء يفرق على الفقراء والمساكين مما آتاه الله من ثمار جنته عند قطافها ومن محاصيل حقله يوم حصاده . وجعل لهم نصيباً مفروضاً يزيد كل مرة ويترك للفقراء والمساكين من فواكه بستانه ما أخطأه المنجل ، أو أهمله القاطفون ، أو ألفت به الريح ، أو تناثر حول الفرش الممدودة تحت الأشجار والنخيل . رزقاً حلالاً وهو كثير مبارك موهور يكفهم قوت سنة ، حتى اعتاد الفقراء ذلك .

وكان هذا الشيخ مثالا صادقا يحذيه أهل البسار وأصحاب البسائين  
 في ضروان وما حولها من القرى يقتلون بمروءته ويفيدون من خبرته  
 وكرمه ، حتى أصبح سنانة مطاف العائزين ومنتجع العادين والرائحين .  
 ومرض الرجل الصالح ، وأوصى بنيه الشباب أن يكونوا من بعده  
 أبراراً بالفقراء ، رحاء بالمساكين ، حتى لا يفقدوا منه بعد موته  
 غير شخصه . ولكن ما كاد الرجل يتوارى في قبره حتى جحد أولاده  
 نصيحته ، ودفنوا معه وصيته . ولم يطالعهم موسم القطاف والحصاد  
 ثمرة تلك الجنة ، حتى تأمروا على الفقراء ، ومنعهم حقهم الذي  
 اعتادوه أيام أبيهم الصالح ، وأجمعوا أمرهم وأقسموا أن يغنوا على  
 حرثهم عند غلس الفجر الأول بجمع الثمار والعود بها قبل أن يصل  
 إليهم الفقراء بمجموعهم . « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »  
 وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . ونسوا الله ولم يسبحوه غير  
 واحد منهم هو أوسطهم وأعقلهم ، وقد أنذروهم وذكرهم ، فلم  
 تنفعهم الذكرى فأرسل الله على جنهم النار الآكلة ما تذر من شيء  
 أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وطاف عليها طائف من ربك وهم  
 نائمون . فأصبحت كالصريم المقطوع المنوع وحرموا كل شيء ،  
 وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويندمون يوم لا ينفع الندم .

وإليكم هذه القصة من كتاب الله قال تعالى :

« إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرنها مصبحين .  
 ولا يستنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت

كالصريم . فنادوا مصبحين . أن اعدوا على حرككم إن كنتم صارمين .  
فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين . وغلوا  
على حرد قاذرين . فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون .  
قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان ربنا إنا كنا  
ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا  
طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك  
العذاب . وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

( القلم آية ١٨ - ٣٣ )

إن هؤلاء الأبناء الجهلاء لم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن  
إخفاء شيء عن الله محال . فالله سبحانه لا تغيب عليه غائبة في الأرض  
ولا في السماء . يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

ولقد كان بعض كفار مكة يقول بعضهم لبعض عن جهالة وضلال :  
لا تجهروا بأحاديثكم حتى لا يسمعكم إله محمد صلى الله عليه وسلم .  
فأنزل الله عز وجل في شأنهم : « وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه  
علم بذات الصدور » .

• • •

## قصة أهل ضروان في الحديث

وقد ترادفت الأحاديث عن قصة أهل ضروان التي تناقل الرواة حديثها وهي قصة ذات عبرة وذكرى - كما رأينا - والحديث الذي ورد في شأنها حديث عام شامل في أهل الذنوب والمعاصي وما قد يعجل الله لهم من العقوبات الدنيوية قبل العقوبات في اليوم الآخر .

فقد روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إياكم والمعصية فإن العبد ليزنب الذنب الواحد فينسى به الباب من العلم . وإن العبد ليزنب الذنب فيحرم به قيام الليل . وإن العبد ليزنب الذنب فيحرم به رزقاً كان هيء له » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فطاف عليها طائف من ربك قد حرموا خير جنهم بذنوبهم » . ( أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه )

• • •

## قصة أهل مروان في قصيدة

الشاعر المؤمن الأستاذ الصاوي شعلان له نفثات شعرية رائعة ،  
خاصة ما قام به ونظمه من شعر شاعر الإسلام محمد إقبال رحمه الله .  
وقد نظم قصة أهل مروان في قصيدة من الأدب الإسلامي المعاصر قال  
في مطلعها :

الحرص قد يجعل الأحرار عبدانا

وقد يصوغ من الأموال أوثانا

لذا أحببت أن أنقلها لقراء الكرام وحزى الله الشاعر المسلم كل

خير والحمد لله رب العالمين .

الصواف

• • •

## قصة ضرّوان شعراً

للشيخ لصارى شعلان

الحرص قد يجعل الأحسرار عبدانا  
وقد بصوغ من الاموال أولانا !  
إذا رأيت قسوراً بالندى غلت  
فاصنع بها في أثاث البيت جدراننا !  
كم قصة في كتاب الله ناطقة  
يعيدها الناس في دنياهم الآنا !  
أصحاب جنة ضرّوان وقصتها  
قد أنزل الله فيها الوحي قرآنا !  
قد كان صاحبها في الفضل ذا شيم  
أندى من الروض أزهار أو أفنانا !  
فما بكى حوله الأيتام من سغب  
ولا شكاه عنده المضعوف حرماتنا !  
لا يكتفى بزكاة الزرع يبلطها  
حتى يضيف إلى الإحسان إحساننا !

وأشرق الصبح فياض الندى عبفا  
 يختال نوراً وأنداء وريحانا !!  
 وأقبل الشيخ يمضى في مهافته  
 متوجاً بوقار الشيب جدلانا !!  
 يحدو خطاه إلى البستان راعته  
 وما يزال شباب القلب ريانا !!  
 رأى عجائب صنع الله قد رسمت  
 ما يسحر اللب أطباقاً وألوانا !!  
 والورد في الحلل الخضراء تحبه  
 زمرداً ضم ياقوتاً ومرجانا !!  
 ترى الفواكه مما يشتهون بها  
 طمأً وطلحاً وأعقاباً ورمانا !!  
 والطيير ترسل في تسبيح خالقها  
 ما يعجز الفصحاء اللسن تبياناً !!  
 ما صور الله لا يرقى له بشر  
 سبحانه في علاه ألف سبحانا !!  
 وكان للشيخ أبناء قد ازدهروا  
 وأورقوا في ربيع العمر فتياناً !!  
 وحين شارف قرباً من نهايته  
 وإن يوماً وشيك البين قد حانا !!

أوصى بنبيه بأد نقي مكارمه  
إرناً يقيم لهم في المجد بنيانا ! !  
لا تفترا الشح بعدى في مزارعكم  
لا تجعلوا جنتي بالحسرت تيرانا ! !  
فما احتجزت عن الأهين ثروتها  
يوم الحصاد ولا أهملت جيرانا ! !  
لا يستر الخبز في بدو ولا حضر  
من كان من حلبة المعروف عرياناً !  
النمل تبنى قراها في تماسكها  
والنحل تجنى رحيق الشهد أعوانا ! !  
والنهر يسقى العطاشى من منايله  
رياً ورزقاً ويبقى النهر ملاناً ! !  
وفارق الشيخ دنيا لا يلوم بها  
غير الثناء لأهل الفضل عنوانا ! !  
فبدل الإخوة الأبناء سنته  
وأوند إيمانهم بالعهد كفراناً ! !  
وأضمرُوا خطة نكراء عادية  
كانت عواقبها ويلا وغدلاناً ! !  
وأقسموا أن يهبوا مصبحين إلى  
جمع الثمار ولا يألون كتماناً ! !

كى لا يراعوا يمسين يطالعهم  
 فى طمره لاهث الأنفاس جوعانا !!  
 فأرسل الملك الجبار نقمته  
 جزاء ما أضمرنا بغيماً وعدوانا !!  
 ألفت بأشجارهم صرعى فما تركت  
 حتى لأغصانها الأوراق أكفانا !!  
 غلبوا على حرثهم صباحاً فما وجدوا  
 فى الحقل نباتاً ولا فى الأرض بستانا !!  
 ضل الطريق بهم بل ضل مذهبهم  
 وصار مبصرهم فى النور حيرانا !!  
 وقال أوسطهم إني نصحت لكم  
 فلم أجد بينكم للصبح آذاناً !!  
 الله يعلم ما تخفى الصدور وما  
 يكون سرّاً يراه الله إعلاناً !!  
 ماذا ظننتم بعلام الغيوب إذن  
 أكان جهلاً بكم أم كان نسياناً !!  
 خزائن الله ملأى لا نفاذ لها  
 سبحانه قال: «كن» فالأمر قد كانا !!  
 إن الأئى حرّموا المسكين قد رجعوا  
 أذل مسكنة منه وحرمانا !!

وقد مضى قدر لم يحسه ندم  
مكروالبخيل يحيل الريح نحراانا !!  
إن رمت جمة رضوان فكن حذراً  
ولا تكن واحداً من أهل ضروانا!!

• • •

وانطلاقاً من هذه المعاني التي ذكرتها في هذه المقدمة الموجزة والتي  
كنت قد أوضحت فيها البيان ، وفصلت فيها الكلام بمحاضرة ألقيتها  
قبل خمسة عشر عاماً بدوة المحاضرات التي تقيمها رابطة العالم الإسلامي  
أيام الحج من كل عام بمكة المكرمة وكان إلقاؤها في عام ١٣٨٦ هـ .  
أحييت أن أخرجها برسالة مستقلة لعل الله أن ينفع بها أجيالنا  
وأمتنا التي عمها الذنوب وركبتها اضمحوم والكروب . وليس لها والله  
من عاصم إلا علام الغيوب ربا الرحمن الرحيم وإلنا وإله كل شيء  
نسأله عز وجل أن يردنا إليه رداً جميلاً ، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء  
منا ، وأن يولى أمورنا خيارنا ولا يولها شرارنا ، انه تبارك وتعالى  
نعم المولى ونعم النصير والحمد لله أولاً وآخراً . وصلى الله على سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد محمود الصواف

مكة المكرمة

شرة جادى الأول سنة ١٤٠٢ هـ .

## الغول (الوطير) الذي نزل بنبأه الرسول

الأمة الإسلامية أمة هدية وقيادة اختارها الله لأقدس رسالاته. وأنزل فيها أعظم كتبه. هو امور الدين. والذكر حكيم وبعث فيها أكرم رسله وحير أنبيائه وأصفيائه محمد بن عبد الله عليه صلاة الله وسلامه وهي أمة الشهادة « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » وقد احضاه الله عز وجل وهو أعلم حيث يجعل رسالته فحملت الأمانة بصدق وبلغت الدعوة بعزم ، وصدق وحدثت في الله حق جهاده . فأكرمها الله وأعزها . وجعلها خير أمة اخرجت للناس وفتح لها أعلاف القلوب . كما فتح أعينها العقول واحصون فادخلها معصرة لادمرة ونية لا هادمة ومتأحية متعدوية لا اكره ولا مستعمرة . وكانت لها السيادة في المعمورة لأمد يزيد عن ثلاثة عشر قرناً من الزمن . ثم دالت دولتها حين رانت حلافتها وتدعت عبيد دون الكفر ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها فزقتها شر ممزق وجعلت منها أمماً مد أن كانت أمة واحدة « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » كما جعلت ديارها ممالت به . أن كانت مملكة واحدة يحكمها سلفك واحد ولها علم واحد هو علم التوحيد والوحدة :

( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) وها هي ذى المصائب لا تزال  
تنصب على المسلمين . وهذه المحن تتنازع عليهم وتلاحقهم وهذه البلايا  
والتوايب ترى كأنها لم نجد غير ديارهم داراً ولا غير منازلهم منزلاً .

وانفوصى السياسية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية ما بالها عشعت  
في ديارنا حتى غدونا وكأننا لسنا أبناء أولئك الأجداد الذين رفعوا علم  
الجهاد وفتحوا البلاد وقادوا العباد إلى شاطئ الأمن والسلامة والإسلام ،  
حتى أصبح لهم الأمر والسيادة والسياسة في أكثر من ربع المعمورة  
وغدا حكمتنا يتردد في ثلاث قارات في الكرة الأرضية ؟ وإذا أمرنا  
أصاحت الدنيا لأمرنا . وإذا نادينا تجاوزت أرجاء الأرض لندائنا ،  
وإذا دعونا أمنت الإنسانية لدعائنا حتى قال قائلهم :

أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها الفين آمينا

وما دهانا يا ترى حتى قلبت لنا الأيام ظهر المحن وتفرقتنا أيدي سباً  
وتداعت علينا الأمم كما تداعى الذئاب وتعوى على الفريسة . وطمع  
فينا من لا يدفع عن نفسه وسلط علينا الأشرار وتحكم فينا الفجار وهنا  
على الله وقد اجتباننا من بين الأمم « هو اجتباكم » وهنا على الناس بل وهنا  
حتى على أنفسنا وأهلينا ؟ .

فما هي الدواعي والعوامل والخطوب التي أوصلتنا إلى هذا المنحدر  
السحيق ؟ وطوحت بأمنا حتى جعلتها شلواً ممزقاً ونهباً مقسماً بين الأمم ؟

إني لا أريد أن أذكر الأسباب من وجهة نظر علم الاجتماع وما ذكر  
فيمن أسباب سقوط ونهوض الأمم . كما لا أريد أن أعرج على الأسباب  
السياسية والتاريخية وما كان لها من شأن في تدهور أمتنا الإسلامية  
وتعلمها عن مقعد الصدارة الذي كانت تتبوؤه بين الأمم ولكنني أريد  
ها أن أرجع إلى أصل الأصول وقاعدة القواعد . أريد أن أرجع إلى  
الشرعية الإسلامية الفراء وهي مصدر عزنا ، ومبدأ فخرنا وتاريخنا  
ومنتهى آمالنا وغاياتنا في الحياة .

أريد أن أعود إلى الإسلام العظيم فأستنطقه ليبوح لنا بالأسرار وإن  
لم يكن في الإسلام سر والأسباب التي أدت بنا إلى ما نحن عليه الآن  
من التخلف والانكسار . . . أريد أن أعالج الموضوع من وجهة النظر  
الإسلامية لتكون عني ذكر من أمرنا وليجي من حبي عن بينة

وكلنا يعلم أن الله تبارك وتعالى في هذه الحياة سنناً لن تتغير ولن  
تبدل . سنن في الكون ، وسنن في حياة الأمم والأفراد والجماعات .

فالأمة التي تسير على النهج وتمشي في درب الهداية وتأخذ بمعاقل  
المجد والجد وتوثق تقواها تصل إلى مبتغها وتنال ماها والله ينصرها  
ويرعاها .

وكلنا يعلم كذلك أنه ليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب فالعريز  
اليوم بطاعته لله ذليل غداً بعصيانه إن هو عصاه . ومن سلك طريقاً إلى  
الله سلك الله به طريقاً إلى العز والرفعة والعلواء ، وسلك به طريقاً إلى

الحياة الرعيذة والعيش الهنيء الطيب . . . قال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » وصدق الله ، فما أطيب حياة المؤمن وما أمنأه بمولاه وهو غاية مناه في دنياه وأخراه وهو عز وجل مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وإذا سلك العبد طريقاً إلى الشيطان سلك الله به طريقاً إلى الذل والمهانة والعناء . وما أهون الخلق على الله إن هم أصاعوا أمره وفرطوا في حكمة ودينه .

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال : لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض . فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي فقلت : يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله ؟ فقال : ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أصاعوا أمره ، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم لملك ، تركوا أمر الله وصاروا إلى ما ترى وحديث أبي الدرداء هذا يلني الأصواء الكاشفة على الأسباب والخطوب الكامنة وراء نكبة أمتنا الإسلامية ، فبينما نحن معشر المسلمين أمة قاهرة ظاهرة في الأرض لنا الملك والسلطان والسيف والصولجان ، ولنا الكلمة العليا ، إن قلنا أصغت الدنيا لقولنا ، وإن أمرنا خضعت الأمم لأمرنا وسلطاننا . فلما تركنا أمر ربنا وخالفنا قواعد ديننا وتنكبنا الطريق استقيم الذي رسمه الله لنا وخط لنا خطوطه واصحة بينة قوية وأمرنا بالسير فيه وسلوكه ، لما سلكنا هذا السبيل المعوج . صرنا إلى ما صرنا إليه

من الفرقة والشتات والذل والهوان وهل في الدنيا والآخرة شر وداء  
وبلاء إلا وسيله الذنوب والمعاصي وترك الأوامر والنواهي ؟  
وهل عذبت أمة من الأمم في القديم والحديث إلا بذنوبها وما نزل  
عذاب إلا بذنب ولا ارتفع إلا بتوبة .

• • •

# أَسْئَلَةٌ وَأَسْئَلَةٌ

من الذى أخرج نوحاً من آدم وروحه من الجنة دار النعيم المقيم إلى دار  
الآلام والمصائب غير الذنب والعصيان؟

وما الذى أغرق أهل الأرض كآبائهم أيام نوح عليه سلام حتى علا  
الماء فوق رؤوس الجبال غير الذنوب والعصيان حتى غرق ابن لني  
نوح ولم ينفعه صلاح والده لأنه عمل غير صالح؟

وما الذى سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقاهم صرعى وموتى  
على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية . ودرت مامرت عليه من  
ديارهم وحررتهم وروعتهم ودوابهم حتى صاروا عبدة للأثم إلى يوم  
القيامة . ذلك بما كسبت أيديهم ولا يظلم ربك أحداً .

وما الذى أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في  
أجوافهم ، وماتوا عن بكرة أبيهم غير لمعاصي والذنوب؟

وما لدى رفع قرى قوم لوط حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ثم  
قلبا الله عليهم وجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً ثم أتبعهم حجارة من

سحبيل السماء أهطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة  
غيرهم ولإخوانهم أمثالها وهى من الظلمين بعيد . من أرسلهم إلى  
هذا غير العصيان والذنوب ؟

وما الذى أرسل على قوم شعيب عذاب يوم الظلة ، وأرسل عليهم  
سحب العذاب كما ظلل . فلما صارت فوق رؤوسهم أمطرت عليهم ناراً  
تلقى ، فأهلكهم الله بدنوبهم وبما كانوا يصنعون ؟

وما الذى أغرق فرعون اللعين وقومه فى البحر حتى نقلت أرواحهم  
إلى جهنم ، فالأجساد للفرق والأرواح للحرق غير التحجر والتكبر  
والعصيان ؟

وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها  
تدميراً كاملاً شاملاً غير المعاصى والذنوب ؟

وما الذى بعث على بنى إسرائيل قوماً أولى بأس شديد فجاسوا خلال  
الديار . وقتلوا الرجال وسبوا الذرارى والنساء وأحرقوا الديار ونهبوا  
الأموال . ثم بعثهم عليهم مرة ثانية . فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا  
ما علوا تبيراً ؟

وما الذى سلط عليهم أنواع العذاب والعقوبات ، مرة بالقتل والسبي  
وخراب البلاد ومرة بجور الملوك والرؤساء ومرة بمسخهم فردة  
وخنارير وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى : « لبيعن عليهم إلى  
يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » ونرجو الله عز وجل أن يردنا

إليه رداً حبلًا وأن يعيشا على هذه الأمة الكافرة اللعينة المسيخة يهود حتى  
سترد منها الوطن السيب ونزل بها ما تستحق من عذاب الله وبطشه .

فما نرى أيها المسلم ما نزل بالأمم والشعوب من آلام وعقوبات .  
ومسخ وحرق وغرق وهل كانت إلا بسبب المعصية والخطايا  
والذنوب وقد نزل بنا ما نزل بهم لأننا ارتكبنا ما ارتكبوها من الآثام .  
ونقض الأحكام والفسوق والعصيان . قد يبدو هذا الرأي غريباً وعجيباً  
على بعض الناس اليوم ، وقد غرقت إلى الأذقان في حياة جاهلية حمقاء  
كما سحرتنا أوروبا بتفاليدها وعاداتها ونهجها في الحياة ، حتى لم نعد  
نرى المنكر منكراً ولا الذنب العليظ معصية وإثمًا بل لعل بعض الذنوب  
اليوم مما يفاخر به الناس وبعض المنكرات مما تزين به الهامات .

ولا نستغرب هذا ونحن في عصر الفتن وأوان البلاء والمحن وفي  
عصر غربة الإسلام وأهله . وفي أوساطنا دعاة إلى أبواب جهنم من  
أجابهم إليها قذفوه فيها وهم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .

في جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ويلبسون للناس  
مسوح الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب  
يقول الله عز وجل : « أبا تغفرون ؟ أم على الله تبحرثون ؟ » في حلفت  
لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحليم حيران . »

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده  
قال : قال علي : يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا رسمه  
ولا من القرآن إلا اسمه مسجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى .  
علمائهم شر من تحت أديم السماء منهم خرجت الفسنة وفيهم تعود .

وذكر من حديث سماك بن حرب عن عبد الرحمن بن عبد الله  
ابن مسعود عن أبيه : إذا ظهر الربا والزنا في قرية أذن الله عز وجل  
بهلاكها .

ومن مراسيل الحسن : إذا أظهر الناس العلم وضيعوا العمل وتحابوا  
بالألسن وتاغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عز وجل عند  
ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم .

وفي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله  
عنها : كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال :  
يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تتركوهن .

ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين  
والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا .

ولا نقص قوم المكياي إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان .

ولا خسر قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا  
بعض ما في أيديهم .

وما لم تعمل أنتم بما أنزل الله من كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم .  
وذكر الإمام أحمد رحمه الله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه :  
توشك القرى أن تخرب وهي عامرة ؟ قال : إذا علا فجارها على  
أبرارها وساد القبيلة منافقها .

وذكر الأوراعى رحمه الله عن حسن بن عطية أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : « سيظهر شرار أمتى على خيارها حتى يستخنى المؤمن  
فيهم كما يستخنى المنافق فينا » .

هذه كلها نذر خطيرة وأمثة حديرة بأن يتدارسها المسلمون اليوم  
حتى يتجنبوا أسباب الأنبيار ودواعى الهلاك والدمار التى أصابت الأمم  
قبلهم وهم مهددون أن يقعوا بمثل ما وقع به أولئك فى سالف الحقب  
وقد قص علينا القرآن أخبارهم وفى أنبيائهم ما فيه مزدجر لقوم يعقلون .

ولم كان العبرة فى مثل هذه الخطوب التى تقوض الممالك وتهدم  
الشعوب وتقضى على معالم الأمة حتى نتمسحها مسخاً لذا فقد جاء  
آيات كتاب الله مستفيضة بأخبار من نزل بهم عذاب الله لصدعهم عن  
سبيل الله . وجاء فى كتاب الله الحث على الضرب فى مناكب الأرض  
والسير فيها والنظر فى آثار المالكين من الأمم السالفة ليشاهدوا بأنفسهم  
الدليل القاطع على سوء مغبة الزائعين المنحرفين كيف كان مصرعهم  
وهلاكهم قال تعالى : « قد دخلت من قبلكم من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض  
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة  
للمتقين » والله تارك وتعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وهذه مكة شرفها الله حيث ضرب الله بها المثل إذ كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فلما حاربت الرسول صلى الله عليه وسلم وثنكرت لدعوته وكفرت بأنعم الله أذاقها الله لاس الجوع ، والخوف بما كانوا يصنعون .

والقصص القرآني يقطع نياط قلوب المستهزئين ويقطع أفئدة المستكبرين المتجبرين فنجد القرآن العظيم لما ذكر قوائح المشركين من الاعراض والتكذيب والاستهزاء قال تعالى :

« ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين » ( الأنعام آية ٦٠ ) .

وزاه يحدثنا عن فرعون وشأنه وشأن قومه فيقول عز من قائل :  
« كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكث عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » ( النسخان آية ٢٥ - ٢٩ ) ويقابل هذا ما قصه علينا القرآن العظيم عن داود عيه السلام أنه لما أطاع ربه وأتاب إليه وشكره على نعمه وفضله وإحسانه ألان له الحديد وعلمه صنعة الترويع وأنعم عليه بابنه سليمان الذي ورثه ملكه وعلمه حكته فقال :

« ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير » .  
( سبأ آية ١٠ - ١١ )

وقد ذكر الحافظ السيوطي في الدر المشور أن أبا الشيخ ابن حبان  
 روى بإساده عن قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى : « إن الله لا يغير  
 ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » قال : إنما يجيء التغيير من الناس  
 والتبديل من الله فلا تعيروا ما بكم من نعم الله . وقد روى ابن أبي شيبه  
 وأبو الشيخ ابن حبان وابن مردويه عن علي رضي الله عنه أن رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى : « وعزتي وجلالي وارتفاعي  
 فوق عرشي ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل بيادية كانوا على  
 ما كرهت من معصيتي ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي  
 إلا تحولت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي ،  
 وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل بيادية كانوا على ما أحببت  
 من طاعتي ثم تحولوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي إلا تحولت  
 عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من عذابي » .

والأمثلة في هذا الباب لا حصر لها ومما اتفق عليه الكتاب والسنة  
 وإجماع الأمة وما هو مشاهد محسوس بين الأمم والأفراد والجماعات  
 هو : أن عدم شكر النعمة يوجب زوالها وإن طاعة الله عز وجل وشكره  
 على نعمه يوجبان حفظها ودوامها والمزيد منها إلى ما يشاء الله كلما  
 زاد العبد من الشكر زاد له من النعمة وقد عمداً قد قيل :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النعم

وهذا كتاب الله بين أيدينا وهو لا ينطق إلا بالحق يقص علينا وبين  
 لنا ما كانت عليه بعض الأمم السالفة من حضارة وعمران وتناول في

بيان وحيات معروشات وغير معروشات فلما أعرصوا عن الله  
 واستبدلوا الذي هو أنفى بالذي هو خير وتبعوا فوى وزعوا . راع  
 الله قلوبهم وبدن نعمهم بالقم ونعيمهم بالعداب ومنهم بالخوف وعدم  
 بالغفر وجمعهم بالتفرق وخبرهم بالشر وأوزن بهم صنوفاً من العذاب  
 وكلامهم فخذ الله بذنوبهم من أعرقه ومنهم من أحرقه ومنهم من  
 صب عليهم العذاب صفاً حتى أمهم عن آحرمهم ومنهم من أخذته  
 الصيحة ومنهم من أرسل عليهم سيل العرم . قال الله تبارك وتعالى :  
 « لقد كان لسا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق  
 ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم  
 سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل حط وأثل وشيء من  
 سدر قليل . ذلك جزياهم بما كفروا وهل نحازى إلا الكفور» (سأ آية  
 ١٥ - ١٧) هذا مثل واحد لما جرى لبعض الأمم عندما عرضوا عن الله  
 وإنك لتجد صورة واضحة فاضحة تتجلى في هذه الآيات الينات وقد  
 حملهم الله أهدوثة سائرة وعطة زاجرة بالعة ومثلاً مضروباً ولسان  
 ملحق وحجة على الباطل وأهله وهداية وعبرة وذكرى لمن كان له  
 قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وهاكم ما جاء في سورة العنكبوت عن أحوال بعض الأمم والشعوب  
 التي أخذها الله بذنوبها وعبثها بعصيانها وفسوقها وفجورها وخروجها  
 من طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان . قال الله تبارك وتعالى :

« ولما جاءت رسلنا إبرايم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه

القرية إن أهلها كانوا ظالمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها  
 لنسجنه وأهله إلا امرأته كانت من العابرين ( العنكبوت آية ٣١ - ٣٢ )  
 • ولما أن جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا  
 لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من العابرين .  
 إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون .  
 ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون . وإلى مدین أخاهم شعبياً فقال  
 يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين .  
 فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين . وعاداً وثمود  
 وقد بين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل  
 وكانوا مستبصرين . وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى  
 بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين . فكلاً أخذنا بذيبه  
 فثمهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا  
 به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا  
 أنفسهم يظلمون ( العنكبوت آية ٣٣ - ٤٠ )

والأمة التي تكون في نعمة ثم تزول عنها العمة عقوبة وتأديباً فقل  
 أن ترجع إليها وتعود كما كانت .

عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت  
 إليهم . وكلما أحدث الناس ذنباً أحدث الله عز وجل لهم عقوبة .

ورد عن مالك بن دينار قال : كلما أحدثتم ذنباً أحدث الله لكم من  
 سلطانكم عقوبة وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن هلال قال : بلغني

أن نبياً من الأنبياء عليهم السلام لما أسرع قومه في المعاصي قال لهم  
اجتمعوا إلى لأتلفكم رسالة ربي فاجتمعوا إليه وفي يده فخارة فقال :  
إن الله تبارك وتعالى يقول لكم : إنكم قد عمتم ذوباً قد بلغت السياء  
وإنكم لا تتوبوا منها وتزعوا عنها إلا إن كسرتكم كما تكسر هذه  
فألقاها فانكسرت وتفرقت ثم قال : وأفرقكم حتى لا ينتفع بكم ثم  
أبعث عليكم من لاحظ له فينتقم لي منكم ثم أكون اندي أنتم  
لنفسى بعد .

وقد يحرم المرء الرزق بذنبه ولا يجد طعاماً ولا لذة للعبادة لمعصيته  
وذنبه كذلك .

روى النسائي وابن ماجه أحمد وأبو يعلى وغيرهم أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : « إن الرجل ليجرم الرزق بالذنب يصيبه » . وقال  
وهيب بن الورد : لا يجد طعم العبادة من عصي الله سبحانه وتعالى بل  
ولا من هم بمعصيته .

• • •

# تورث القلوب

قيل لإبراهيم بن آدم رحمه الله ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا ولله  
قال الله تبارك وتعالى : « ادعوني أستجب لكم » ؟ قال : لأن قلوبكم  
ميتة . قيل : وما الذي أماتها ؟ قال : ثمانى حصال :

« عرفت حق الله ولم تقوموا بحقه ، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحلوه  
وقلم تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تعملوا بسنته ، وقلم  
تخشى الموت ولم تستعملوا له ، وقان تعالى : « إن الشيطان لكم عدو  
فانخلوه عدواً » فوطأتموه على المعاصى ، وقلم تخاف النار ، وأرهتم  
أبدانكم فيها ، وقلم تحب الجنة ولم تعملوا لها ، وإذا قمتم من فراشكم  
رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأمنظتم  
وهكم فكيف يستجيب لكم ؟ » .

ومن منا يستطيع أن ينكر أن هذه الحصال التي ذكرها هذا الرجل  
الراهد العابد موجودة فينا قائمة في مجتمعاتنا الإسلامية حتى أصبحنا  
يدعو خيارنا فلا يستجاب لهم ونعوذ بالله من المصير الموحش المؤلم  
الخطر الذي تنتحدر إليه الأمة إذا امتزرت على غفلتها وعصيانها  
وذنوبها .

# قصته وعبرته

ذكر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى :  
«واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها» ... ذكر قصة ملخصها :  
أن موسى عليه السلام لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام  
وكان بيلم ببالعة قرية من قرى البلقاء فلما نزل موسى ببني إسرائيل  
أتى قوم بيلم إلى بيلم فقالوا له : يا بيلم إن هذا موسى بن عمران في  
بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل .  
وإنا قومك وليس لنا منزل ؛ وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع  
الله عليهم فقال : ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون ، كيف  
أدعو عليهم ؟ فلم يزالوا به حتى جعل يدعو عليهم فلا يدعو عليهم شي .  
إلا حرف به لسانه إلى قومه ولا يدعو لقومه بخير إلا حرف لسانه إلى  
بني إسرائيل فقال له قومه . أتدري يا بيلم ما تصنع إنما تدعو لهم  
وتدعو علينا . قال : فهذا ما لا أملك . هذا شيء قد غلب عليه واندلع  
لسانه فوقع على صدره فقال لهم . قد ذهبت الآن من الدنيا والآخرة  
فلم يبق إلا المكر والحيلة . فإني سوف أمكر لكم واحتيال . حملوا النساء  
واعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعن فيها وأمرهن فلا تمنع  
امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى منهم واحد كفيتموهم

فصعلوا فيها دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبي  
ابنة صور رأس أمته ؛ رجل من عطاء بني إسرائيل وهو زمري  
ابن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق . فقام إليها فأخذها  
بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه  
السلام فقال : إني أظنك ستقول هذه حرام عليك . فقال موسى :  
أجل هي حرام عليك لا تقربها . قال : هو الله لا تطيعك في هذا فدخل  
بها فقتله فوقع عليها وأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل . وكان فنحاص  
ابن العيزار بن هارون غائباً فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل  
فأخبر أخبر . فأخذ حربته ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانظماهما  
بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء وهو يقول : اللهم هكذا تفعل  
بمن يعصيك ورفع الطاعون بإذن الله لما رفع المنكر فحسب من هلك  
من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله  
فنحاص فإذا هم سبعون ألفاً . . . إلى آخر القصة .

ومند القديم كانت الفتنة بالنساء لخراب الديار وهلاك الأمصار .  
وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أبلغ تحذير منها إذ قال :  
« ما تركت فتنة من بعدى أضر أو أشد على الرجال من النساء » .

وهؤلاء أخذوا بذنب هذا الفاسق لأنهم تركوه وما يصنع من الإثم  
والفجور . ولو أخذوا على يديه لما أصابهم ما أصابهم من البلاء بالوباء .  
ويؤيد هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « إنه كان  
من كان قبلكم إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهي تعزيراً فقال :

يا هذا اتق الله ، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم  
لم يره على خطيئته بالأمس فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب  
بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى  
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون والذى نفس محمد بيده لتأمرن  
بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الضالين ولتأطرنه على  
الحق إطرأ أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم .

نظر بعض أئمة بني إسرائيل إلى ما يصنع بهم يختصر من التمثيل  
والتشريد فقال : بما كسبت أيدينا سلطت علينا من لا يعرفك  
ولا رحمتنا وقال يختصر لدانيل . ما الذى سلطنى على قومك ؟ قال  
عظم خطيئتك وظلم قومي أنفسهم .

وقد تؤخذ الأمة بعذاب شامل لارتكاب بعضها الذنوب والمعاصي .  
قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » .

« كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاهما فقال لهم رسول الله ناقة الله  
ومقياها فكلموه ففكروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها ولا يخاف  
عقباها » ( الشمس آية ١١ - ١٥ ) .

وخطب الإمام على كرم الله وجهه مرة فقال : أيها الناس لا تتوحشوا  
في طريق الهدى لقلّة أهله فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شعها قصير  
وجوعها طويل .

أيها الناس إنما يجمع الناس الرضا والسخط . وإنما عقر ناقة ثمود

رحل واحد فمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال تعالى :  
مقرؤها فأصبحوا نادمين . فما كان أن نحات أرضهم بالحصفة خوار  
السكة المحماة في الأرض الخواراة .

أيها الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن خالف وقع  
في التيه .

• • •

# البر عناء على الرمة

بعض المذنبين من الناس إن كلمته ناصحاً أو رجراً له عن الآثام رد عليك بأن رحمة الله واسعة ونحن معتمدون على رحمة الله وكرمه وعموه وإحسانه ونسبى هذا المسكين أنه قد أهمل أمر الله ونبيه وصييعهما فيما صيغ من أمور دينه وعمل هذا المسكين من أن الله عز وجل كذا أنه واسع المحصرة فهو تبارك وتعالى شديد العقاب وأنه لا يرد بأسه عن التقوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاندين والمكابر .

قال معروف الكرخي : رحاؤك لرحمة من لا تضعه من الخدلان والحمق .

وقال بعض العلماء : من قطع عصوا ملك في الدنيا سرقة ثلاثة دراهم لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا

وقيل للحسن : نراك تطويل الكاء ، فقال : أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي .

وسأل رجل الحسن : فقال يا أبا سعيد : كيف تصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تنقطع ؟ فقال :

و نه لأن تصحب أفواماً يخوفونك حتى تترك أما خير لك من أن  
تصحب أفواماً يؤمسونك حتى تلحقك المخاوف .

• • •

# الإستدراج

قد يسأل سائل ويقول . ما بالك ترى أقوماً قد امتلأت فحاح الأرض بمعاسدهم ومن ذلم وظلمهم وقتلهم لأعس بغير الحق وأكذبهم الربا وقد نهوا عنه . ومع ذلك تراهم وقد درت عليهم الأموال ونسي لهم في الآجال وهم في نعيم بعيد المدل . بل هم على حال هي خير الأحوال . . .

رويدك أيها السائل : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، إن هؤلاء يحلى لهم الله ليستدرحهم من حيث لا يعلمون . حتى إذا أخذهم أخذهم عزيز مقتدر .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحلى للظالم حتى يذبحه لم يمته ثم قرأ قوله تعالى : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أحذه ألم شديد . » والله تدرك وتعالى يمهل ولا يمهل أبداً . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيت الله عز وجل وحل بعضى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب ، فإنما هو استدراج » ثم تلا قوله عز وجل « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا

بما أوتوا أحدهم بعنة فردا هم مبلسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا  
والحمد لله رب العالمين » ( الأعمام آية ٤٤ - ٤٥ ) .

قال بعض السلف : إذا رأيت لله عز وجل يتدبر عليك بعمه وأنت  
مقيم على معصية فاحذره فإنما هو مستدراج منه يسترحك به . .  
وقد قال تعالى :

« ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن  
لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون . وليوتهم  
أبواباً وسرراً عليها يتكئون ، وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة  
الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين » ( الزخرف آية ٣٣ - ٣ ) . .

وقد رد الله سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله : « فأما الإنسان  
إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرم من ، وأما إذا ما ابتلاه  
فقتدر عليه رزقه فيقول ربني أهان » ( المحر آية ١٥ - ١٦ ) كلا :  
أى ليس كل من نعمته ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمت وليس  
كل من ابتليته وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته ، بل ابتلي هذا بالنعم ،  
وأكرم هذا بالابتلاء .

قال بعض السلف : رب مستدراج بنعم الله عليه وهو لا يعلم ، ورب  
مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم ، ورب مغرور بستر الله عليه  
وهو لا يعلم .

ونعوذ بالله من الاستدراج ففيه الفتنة وفيه المحنة ، وفيه السقوط إلى  
مهاوى الصلال فلا يفترن أحد بما بدا من آثار النعمة على بعض

الطعنة ، ففي هذه النعمة الثمينة والعذاب الأليم ، والله عز وجل ليس  
بالعادل عن أحد ، والله عز وجل غالب على أمره ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون . . .

• • •

## حديث لفيلفة العباسي أبي جعفر المنصور

### وقصة ملك النوبة الحكيم

ذكر ابن قتيبة الدينوري في كتابه : تأويل مختلف الحديث ، أنه حدثه رجل من أصحاب الأحبار أن المنصور سمر ذات ليلة فذكر خلفاء بني أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة . . حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكان مهمهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإتيان اللذات والدخول في معاصي الله عز وجل ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله تعالى وأمناً من مكره تعالى ، فسلهم الله الملك والعز ونقل عنهم النعمة فقال له صالح بن علي : يا أمير المؤمنين ان عيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هارباً فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم ، فأخبر فركب إلى عيد الله فكلّمه بكلام عجيب في هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس محضرتنا في هذه البينة وسأله عن ذلك . . فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال :

يا أمير المؤمنين قلمت أرض النوبة بأثاث سلم لي فافترشته بها وأقت ثلاثاً فأتاني ملك النوبة وقد خبر أمرنا فدخل على رجل طويل أفتى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت ما يمنعك

أن نقعد عن ثياب فضال . إني ملك وحق علي كل ملك أن يتواضع  
 لعظمة من عر وحل ، درعه لله ، ثم أقبل على فضال في لم نشرب  
 الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم ، فقلت : احترأ على ذلك عيدنا  
 وصفه وثنا ، قال : علم تطؤون ابروع بدوابكم والفساد محرم عليكم  
 في كتابكم ، قلت : يعمل ذلك حوائجنا . قال : فله تأسون لداخ  
 والحريز وتسعون اذهب وانحصه وهو محرمة عليكم . فقلت : رب  
 عنا الملك وقل أصدنا فانتصروا بقوم من العمم دخلوا في ديننا فسوا  
 ذلك على اكره من . فاطرق ملياً وجعل يعلب يده ويسكت في الأرض  
 ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحلتم ما حرم عليكم  
 وركبتم ما نهيتهم عنه وظلمتم فيها منكم فإلهم الله تعالى العز وتوسم  
 الملك بذنوبكم والله فيكم بقمة لم تنفج نهايتها وأنخاف أن يحل بكم العذب  
 وأنتم سلبى فيصيبني معكم وبما لصيافة ثلاث فرودوا ما احتجتم  
 إليه وارتحلوا عن بلدى ، ففعلت ذلك .

هذه عبرة من العبر وما أكثر العبر وما أقل المعتبرين وفي الأرض  
 آيات وذكريات وعبر ولكن ساس عنها غافلون : « وكان من آية  
 في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » .

وما ذكر لكم النتائج والآثار السيئة التي تحدثها الذنوب والتي بها  
 تنقوض الأمم ويهدم بنيان الشعوب ، سأذكرها كما ذكرها الإمام  
 ابن القيم رحمه الله في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي  
 مع الريادة والشرح لبعض الفقرات وذكر آثارها بالنسبة للأفراد ،

وهو المراد إلا اللسة لأولى في بنيان الأمة فإذا صلح صلحت الأمة  
وإذا فسدت ، قال ابن القيم رحمه الله :

وللمعاصي من آثار القبيحة الملمومة المفسدة بالقلب والبدن في الدنيا  
والآخرة ما لا يعلمه إلا الله .

١ - قنأ حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية  
تصوء ذلك نور ، قال تعالى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » . . وقال  
الأم العارف :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي      فأرشدني إلى ترك المعاصي  
وأخبرني بأن العلم نور      ونور الله لا يبلى لعاصي

٢ - ومنها : حرمان الرزق وفي المسند : إن العبد ليحرم الرزق  
بالذنوب يصيبه .

٣ - ومنها : وحشة يحدها المعاصي في قلبه لا يوازها ولا يقارنم اللة  
أصلاً ولو اجتمعت له لدات الدنيا بأمرها لم تنف بظلك الوحشة ، وهذا  
نمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة وما لجرح يميت لإيلام . .

٤ - ومنها : الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس لا سيما أهل الخير  
مهم ونفوس هذه الوحشة حتى تستحكم فتفزع بينه وبين امرأته وولده  
وأقاربه وبين نفسه فتراه مستوحشاً من نفسه ، وقال بعض السلف  
إني لأعصى الله فأرى ذلك في خلق ابني وامراتي . .

٥ - ومنها : تعبير أموره وعدم اهتدائه إلى الطريق الأقوم . .

٦ - ومنها حسنة يحدّها من فناء حقيقته بحسبها . كما يحسن صلته  
الليل البيوم .

٧ - ومنها . من معاصي توهن نطق وتدن وتخرم لإسداء من  
لطاعة وتفصر العمر وتمحق بركته ويذهب هباءً مثوراً .

٨ - ومنها . من معاصي تزيح أمشاسا وبواد بعض . بعضاً حتى يعر  
على العدم معرقاً وخرّوج منها كما قال بعض السلف . من من عتونة  
حياة البيئة بعدد وين من ثواب محبة الحسنة بعدها .

٩ - ومنها . وهو من أحرفها على العدم . إنها تصعب لقلب عن  
إرادته فتقوى بإرادة المعصية وتصعب إرادته التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن  
تتلخ من قلبه إرادة التوبة بالكفاية . . .

١٠ - ومنها . أن ينسج من القلب استقباحها فتصير له عادة  
فلا يستحق من منه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه .

١١ - ومنها . أن كل معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمه من  
الأم التي أهلكتها لله عز وجل كالعمو في الأرض والتمسدها فيها فإنها  
ميراث عن فرعون وقومه وهكذا .

١٢ - ومنها : أن المعصية سبب هو أن العدم على ربه وسقوطه من عيبه  
قال الحسن البصري هانوا عليه فعصوه ولو عرو عليه لعصمهم وهدوا  
هان العدم على الله لم يكرمه أحد . قال الله تعالى في سورة الحج .  
« ومن بين الله فما له من مكرم . . . »

وزن عظمهم شمس في انظار لمناحتهم إليهم أو خوفاً من شرهم فيه  
في قلوبهم أحقر شيء وأهونه .

١٣ ومنها : إن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه  
وتصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك . .

١٤ ومنها : إن عبده من الناس والنسب يعود عليه شؤم ذنبه  
فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب العظم . .

١٥ ومنها : إن المعصية تورث السبل فإن امرئ كسر العرق في طاعة  
ربه تعالى ، قال تعالى في سورة طاهر « من كان يريد العزة فلله العزة  
جميعاً . . أي فليصلب بطاعة الله فإياه لا بعدها إلا في طاعته وكان من  
دعاء بعض السلف : اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلي بمعصيتك ، قال  
الحسين البصري : اللهم وإن طقتك بهم العال وهملجت بهم البراذين  
فإن ذنوب المعصية لا يفارق قلوبهم أبى الله إلا أن يدل من عصاه . .

١٦ - ومنها : إن معصية تعسد العقل فإن لعقل نوراً والمعصية  
تطفىء نور العقل كما أن الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها  
فكان من العاقبة كما قال بعض السلف في قوله تعالى في سورة  
المؤمنين : « كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » .

١٧ ومنها : حرمان دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوة  
الملائكة فإن الله سبحانه أمر بيه أن يستعمر للمؤمنين والمؤمنات وقال  
تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون  
به ويستظفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فأغفر

للذين تابوا واتبعوا سبيلك وفهم عذاب الخليم . ونا وأدخلهم حيات  
عدن التي وعدتهم ومن صلح من آياتهم وأرواحهم ودرجاتهم إليك  
أنت العزيز الحكيم وفهم السينات . . . (عمر ١٨ - ٩)

١٨ - ومنها . ذهب حياء لدى هو مادة حياء نقب وهو نص  
كن حير ، وذهب دهاب كل حير نأجمه وفي تصحيح عنه صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : « خيء خير كله ، وقال . إن مما أدرك الناس  
من كلام أسوة لأولى إذ لم تنتح فاصح ما شئت . »

١٩ - ومنها : إنها تصعب في تمت تعصم لرب جل جلاله  
وتصعب وقرة في قلب العدو ولا بد شاء أم أبي . ولو تمكس وقرة  
وعظمت في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه . .

٢٠ - ومنها . إنها تستدعي سبب الله لعبده وتركه وتخلته بسبه  
وبس نفسه وشيطانه وهذا الهلاك الذي لا يرجى معه بركة . «  
الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لعد  
وانتقوا الله إن الله خير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله  
فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » . . . (الحشر آية ١٨ - ١٩) .

٢١ - ومنها : إنها تزيد العم وتحل النقم ف أرالت لنقم عن بعد  
نعمة إلا بسبب لذب ، ولا حلت به نعمة إلا بدب ، كما قال علي  
ابن أبي طالب رضي الله عنه : ما نزل بلاء إلا بدب ولا رفع بلاء  
إلا بتوبة . وقد قال تعالى : « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت  
أيديكم ويعضو عن كثير » .

٢٢ ومنها ، بها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه فلا يزال مريضاً معلولاً لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه من تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان ، بل الذنوب أمراض القلوب ودواؤها ولا دواء لها إلا تركها ، وقد أجمع السائرون على أن الله أن القلوب لا تعطى مماها حتى تصل إلى مولاها ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ولا تكون صحيحة سليمة حتى يقبل دواؤها فيصير دواءها ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها وهواها مرضها وشفائها مخالفة فإن استحکم لمرض قتل أو كاد . . .

وكما أن من سئى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه كذلك يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة ، لا يشبه نعم أهلها البتة بل التفاوت بين النعيمين كالتفاوت الذى بين نعم الدنيا والآخرة ، وهذا لا يصدق به إلا من ناشر قلبه هذا ولا تحسب أن قوله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم » مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك : أعنى دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، فهو لاء في نعيم وهو لاء في جحيم وهل النعيم إلا نعيم القلب ، وهل العذاب إلا عذاب القلب ، وأى عذاب أشد من الخوف والمم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتمنقه بعير الله وانقطاعه عن الله ؟ بكل واد منه شعبة وكل شىء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب ، ثم يحتم ابن القيم رحمه الله حديثه بقوله :

فيا من باع حظه العالى بأبخس الثمن وغبن كل الغبن فى هذا العقد وهو يرى أنه قد غبن ، إذا لم تكن لك خبرة بقيمة السلعة فاسأل المقومين فيا عمحاً من بصاعة معك الله مشتريها وثمنها جنة المأوى ، والسفير الذى حرى على يده عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بعثها بقاية الهوان ، انتهى . .

وابن القيم هنا يشير إلى آية من كتاب الله حددت البائع والمشتري والمبيع والثمن والسفير بين البائع والمشتري وهو قوله تعالى :  
« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (التوبة آية ١١١) . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل والحمد لله رب العالمين . .

• • •

# عنصر القوة في الأمة

إن الله تبارك وتعالى الذي خلق الأمم والشعوب وجعل لكل أمة دورها في هذا الوجود ، هو عز وجل الذي جعل دور الأمة الإسلامية دور إمامة وزعامة وقيادة . بل جعلهم شهداء الله في الأرض يحملون أمانته ويبلغون دعوته ويعلمون كلمته وينشرون رسالته وقد أمد الله الإسلام بالعناصر التي توهم الأمة الإسلامية لهذا المنصب الخطير ؛ منصب القيادة والريادة . ومن هذه العناصر تتألف القوة الحقيقية التي تصل بالأمة إلى غايتها ومبتغاها من العزة والمنعة والمجد والسودد ، والسيادة والقيادة والتمكين في الأرض .

ولبست هذه العناصر الحية مقصورة على جانب دون جانب . وإنما تتناول جوانب الحياة جميعاً . وأهم هذه الجوانب تتمثل في :

١ - القوة في الإيمان الذي يحرر الضمير والوجدان من كل سلطان غير سلطان الله عز وجل .

٢ - القوة في الاستمسك بالحق والاعتصام به اعتصاماً يزهق امامه الباطل ويندحر .

٣ - القوة في العلم المقوم لشخصية الإنسان والكاشف له عن حقائق الوجود المبدى ، وما وراء هذا الوجود من عالم ما وراء الطبيعة .

٤ - القوة في الثروة وتعمير الأرض واستثمار قوى الكون والانتفاع بما في الطبيعة من بركات الله وخيراته . وتوزيعها على أفراد الأمة الإسلامية بالكفاية والعدل والإحسان من غير تفريط ولا إسراف ولا تضييع ولا ظلم كما هو جار اليوم في امتنا بكل أسف .

٥ - القوة في إقامة المجتمع على أساس من الحرية والعدالة والمساواة والتشريع السمح والعمل الجاد والمعاشرة الحسنة والحكم الصالح الذي تكون فيه السيادة لله ولشرع الله عز وجل ثم للصالحين من عباد الله .

٦ - القوة في التضحية النبيلة والاستشهاد في سبيل الحق والجهاد في سبيل الله من أجل العزة والسيادة والحياة الحرة الكريمة للأمة .

٧ - القوة في احترام العهود والمواثيق والقوة في الصدق في تنفيذها .

٨ - القوة في الإسلام العام والقائم على احترام الإنسان وكفالة حقوقه المعاشية والعلمية وغيرها .

٩ - القوة في معرفة الضعف النفسى في المجتمع الإسلامى والتطهر منه حتى تأخذ النفس طريقها إلى العزة والسمو الروحى .

١٠ - القوة في الوحدة والاتحاد والاعتصام بحبل الله المتين وحبل الله هو الإسلام الذى جاء بتوحيد الله ووحدة الكلمة .

١١ - القوة في تربية العقول والأجسام والأرواح في الأمة الإسلامية حتى تتمكن من حمل الأمانة والجهاد في سبيل الله .

١٢ . القوة في إعداد ما نستطيع من قوة السلاح بمختلف أشكاله  
وصرفه حتى نستطيع مواجهة الأعداء بمثل ما يواجهونا به من  
سلاح وأكثر .

هذه هي أهم عناصر القوة في الإسلام وهي ليست مثل القوة المادية  
التي صطلح عليها الناس في عصرنا الحاضر فقوتنا إنما هي قوة في  
العصيدة وقوة في الخلق وقوة في العلم وقوه في المال . وقوة في التماسك  
الاجتماعي وقوة في السقيم السلمي . وقوة في التربية النفسية . وقوة  
في الاستعداد الحربي أيضاً . وسيادة الأمة وقيادتها منوطة بتوفر هذه  
القوى مجتمعة في الأمة . قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

وقد كانت هذه القوى هي العامل الأساسي في مجازح الأمة لإسلامية  
في أول دور من أدوار حياتها القيادية التاريخية . فما كادت تجتمع لها هذه  
العناصر حتى آل إليها ميراث الأرض . ووضع في يدها قياد الأمم ووكل  
إليها إخراج العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الملك المديان . ومن عبادة  
العباد إلى عبادة الله مالك العباد ونخالق العباد ، ومن جور الحكام إلى  
عدل الإسلام . ومن ضيق الدنيا إلى سعتها وباحتجاج هذه العناصر  
أصبحت الأمة رفيعة البنيان عظيمة السطان . ثابتة الأركان باذخعة الفراء  
عظيمة الشأن . حتى تم لها وعد الله الذي لا ينخلف وهو الاستخلاف  
في الأرض . وتمكين دينهم ومبادئهم ، ونشر الأمان والسلام في ربوع  
خلافهم وما يكون تحت سلطانهم . وهذا أقصى ما تتمناه الأمم ولشعوب  
في العالم وتسمى إليه . وتعمل من أجله .

قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات  
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكن لهم دينهم  
الذي ارتضوا لهم . وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً . يعبدونني لا يشركون  
بى شيئاً » ( سورة البور آية ٥٥ )

ولقد دم للأمة الإسلامية هذا المحمد واستمر فيهم هذا العز حينما  
صدقوا مع الله وجاهدوا في الله حتى جهده . وكانوا حراساً أمناء  
على شريعة الله ودينه المستقيم وعدوا مكن لهم في الأرض حتى امتد ظلهم  
إلى ثلاث قارات من القارات الخمس للكفرة الأرضية وقالوا فيهم  
لقد امتد ملك المسلمين من فرغانة إلى عانة أي من أقصى آسيا إلى أقصى  
أفريقيا وما زالت تلك حالهم حتى غيرت الأمة ما نصها وأحلمت  
ما عاهدت الله عليه وتفاعدت عن جهادها وعرت عليها دينها الثقابة  
فغيرت غير الله ما بها . وطبق عليها سسه في لاحتاج البشري وقد  
رسمها الله في كتابه العزيز إذ قال : « ذلك بأن الله لم يك معيراً بعمه  
أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . ( الأفعال آية - ٥٣ )

ومن أهم العوامل التي أدت إلى هذا التغيير هي . التنازع على الحكم  
والسلطان والتعصب للقومية والجنس والنسب . والاختلاف في أصول  
الدين وعروعه . وارجاف المرشحين ودسائس المستعمرين والانتعاد  
عن روح الإسلام ونبذ تعاليمه السماوية الرفيعة والتعق بطواهر تنسب  
إلى الإسلام وليست منه في شيء وترك حقائق الإسلام وجواهره

الناصعة ولاستعلاء بالابتداع عن الاتباع . وعدم الانصياع لدعاة الإصلاح بل ونضوب دعة الإصلاح والجهالة السوداء بحقائق الإسلام وقد منى المسلمون ونكبوا بالجهل بمبادئ دينهم ، والإنسان عدو ما جهل .

وقد أثرت هذه العوامل مجتمعة في كيان الأمة وحيويتها . وأضعفت من دورها الحصارى والقيادى معاً . وأصيبت ببلايا وعن لو نزلت على الجبال لهدتها . وقد أصيبت الأمة الإسلامية بضعف في العقيدة او تحطاط في الخلق وتحلف في لعم وققر في الدين . وتفكك في الروابط . وفساد في الحكم ، وفوضى في كل شيء وفي كل شأن من شؤونها مما عرضها للغزو الأجنبي . والاستعمار الخارجى وأطمع فيها أحسن خلق الله وشر عباده الذين نعمهم الله شر لعنة وهم اليهود ومن والاهم وقد كانت هذه الوطأة التي أصيبت بها الأمة شديدة عليها وقاسية ومهلكة وقد كان من أثر الاستعمار الفاشم الخبيث أن شكك الأمة في دينها وأبعدها عن فهمه وفهم حقائقه وغير من أخلاقها وشوه حضارتها وسلبها الثقة بنفسها وأعطى لنفسه القوامة على حكمها ونشريعها . وعلى علومها وفنونها وعلى ثروتها واقتصادها .

وتمكن من القضاء على الكثير من جيوشها وقوتها العسكرية . ونجح في تمزيق وحدة الأمة الإسلامية وتمزيق الكيان الإسلامى إلى طوائف وشيع وأحزاب وفرق متباعدة متناحرة متلذزة متقاطعة يلعن بعضها بعضاً وابتلاها بانقلابات عسكرية دمرت وحدتها ومزقت شملها ونكبت جيوشها شر نكبة . ولم يدع أعداؤها الخبيثاء فرصة لتحطيم مقومات

هذه الأمة ومحاولة إصاء شخصيتها إلا وسعوا إليها في مكر وخس ودهاء  
وتبرير وإحكام .

وقد استطاعوا - قتلهم الله - بمحاولاتهم الماكرة وموافراتهم  
القسرة أن يحققوا لكثير من أهدافهم من تحطيم جميع مقومات هذه  
الأمة الإسلامية والإحهار عليها في كل سبيل ولكنهم عجزوا بفضل  
الله من القضاء على روح هذه الأمة وإفقادها معنوياتها وتمسكها بدينها  
والاعتزاز برسالتها والالتفاف حول نبيها الأعظم وقائده الأكرم  
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . واطواف حول كعبتها التي  
شرفها الله وجعلها مثابة للناس وأمناً وهي دعاءة الإسلام كما ذكر  
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتزاز بكتاب الله العظيم  
والاعتصام بحبل الله المتين .

وإنه على أثر هذه الضربات الموجعة والمتولية والتي بدأت دول  
الكفر كلها مجتمعة تنزلها بالأمة الإسلامية في كل حذب وصوب  
فإن الأمة بدأت تستيقظ من غفيتها وتسرود وعيها ، وتتحسس طريقها  
محاولة انتزاع مكانها في قوة وعزم وتصميم بإذن الله وهي وإن لم تبلغ  
الغاية بعد . إلا أنها مصممة على بلوغها مهما بذلت من تضحيات  
وتحملت من نكبات . ومتى صح العزم وضح السبيل . وهذه الأمة  
لن تموت ولن تفتى وقد علمنا التاريخ كيف تنهض إذا هي كبت بها  
الأيام أو نجاها الدهر أو جفها الأهل والأصدقاء . لقد انتصرت الأمة  
الإسلامية عبر القرون الخالية وتغلبت على جميع المحن والكوارث التي  
زلت بها وخرجت منها جميعاً مشرقة الوجه ناصعة الجبين .

وكتب الله أعداءها وجملهم في الأذلين . « إن الذين يحادون الله  
ورسوله أولئك في الأذلين . كتب الله لأغلبنا أنا ورسلي إن الله قوي  
عزيز . » (المجادلة آية ٢٠ - ٢١)

وإن أعداءنا جميعاً من مجوس وشيوعيين ويهود وصلبيين سيكبتهم  
الله جميعاً ويدلهم ويجعل بأسهم بينهم شديداً إن شاء الله . ولكن من  
الواجب علينا معشر المسلمين ونحن في هذه المرحلة الحاسمة الخطيرة  
من تاريخ حياتنا أن نبدأ نحن بتغيير جذري جوهرى في نفوسنا وفي  
أخلاقنا وأن يكون ذلك التغيير عاماً وشاملاً بالنسبة للخاصة والعامة .  
وأن يكون على أساس مدروس وخطوة محكمة لكي نتى أسباب الانحلال  
والضعف من جهة وتأخذ بأسباب القوة والعة من جهة أخرى .

وأسباب القوة ليست في فوضى الأخلاق ولا في التحلل من الآداب ،  
ولا في التشكيك في المثل والقيم ، ولا في تقليد الشرق والغرب ،  
ولا في استيراد المبادئ من هنا أو هناك .

ولإنما هي في الأصول الخالدة و لمبادئ الكريمة السائدة التي جاء بها  
الإسلام وأعز بها أولئك الأجداد من سالف أمتنا العريزة ومن خلال هذه  
المركة التي تلور رحاها بين الأمة الإسلامية وبين أمم الكفر والشرك  
والإلحاد نرى من حق أمتنا علينا أن نذكر بالقوة الحقيقية لنهضتنا المقبلة  
والعوامل التي تربط حاضرتنا المتوثب بماضيها المجيد ونبين وجهة الإسلام  
على حقيقتها ولتتضح الحركة الإسلامية على أنها حركة تقدمية صحيحة  
ثابتة راسخة تستهدف تغيير أوضاع الحياة وإرساءها على قواعد رصحة

لا تبلى جدتها . ولا تن قوتها وانها سقت جميع المبادئ التي احدثت  
الإنسانية إلى بعضها . فصلا عن انها اسمى منها وأكمل وأعلى وأحسن .  
إن الإسلام قوة حقيقية في ذاته ولكن المؤسف المحزن أن المتسبين  
إليه هم الذين تسرب الضعف إلى نفوسهم بانحرافهم عنه ، فشوهوا  
جماله وحجبوا نوره وكانوا حجة لأعدائه ، ودليلا في يد خصومه  
وسلاحاً يشبهونه في وجوه دعاة الإسلام وحسر العالم بذلك هداية  
الله ورحمته المهداة إلى قلوبهم . وانطلقاً أمامهم ذلك المصباح العظيم  
الذي شعت أنواره في مشارق الأرض ومغاربها .

وواجب المسلمين اليوم أن يتعلموا الصفوف ويحملوا مشاعل النور  
لهداية الناس ، وقيادة الناس ، وإمامة الناس ؛ فقد خلت البشرية فهي اليوم  
في أمس الحاجة إلى دعوة صادقة تنير لها الطريق وتهدى إلى سبيل  
الرشاد ، وتنقده مما هي فيه من القلق والالتحطاط ولتدهور . وقد  
آن للمسلمين أن يفقهوا الإسلام ويعبروا ما فيه ويتمثلوه في كل ناحية  
ويجسدهوا بالعلم والعمل . حتى ترتفع أعلامه ويدخل الناس في دين  
الله أفواجا .

وقد آن للمسلمين أن يسلكوا سبيل القوة فهي سبيل دينهم وطريق  
رسولهم عليه الصلاة والسلام . يقول تعالى : « نحنوا ما آتيناكم بقوة » .  
ويقول : « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » . والدين بنير قوة مجرد فكرة  
مضيئة قلما يعبرها الناس الاهتمام . يقول شاعر الإسلام محمد إقبال

رحمه الله « لدين بغير قوة فلسفة محصنة » إن أهم ما يشغل الناس اليوم إنما هو الخبز وتوفير شهوات الجسد .

أما الاهتمام بالدين والحق والمثل العليا والقيم الروحية ، فما أشد انصراف الناس عنها اليوم . بل ما أشد خصومتهم لها ومكائدهم لأصحابها . ومن ثم . فقد كان من الضروري جداً أن نكون للناس قوة تحميه . وللحقائق الإلهية سباج يصونها . ولولا هذه القوة وهذا السباج ما بقيت كلمة الله ولذابت معالم الهداية . قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ربيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » ( الحج آية ٤٠ ) .

والإسلام العظيم لا يتجاهل هذا الواقع ويقف أمامه مكتوف اليدين بل أمر بالقوة وإعداد القوة ، وهو لهذا وجه أظن أتباعه إلى هذه الحقيقة وأنه لا قيام له إلا إذا كان له سند من حديد ومن قوة هي أقصى قوة . والحديد رمز القوة وآلها القوية . لذا قال تعالى - « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز » . ( الحديد آية ٢٥ )

ورسول الله صلوات الله وسلامه عليه أخذ لمصحف بيد والسيف بيد أخرى وقال : بعثت بهذا ويهذا لأقوم بهذا من صد عن هذا . قال الشاعر :

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا

فالخرب أجسدى على الدنيا من اسلم

والإسلام مع توجيه أتباعه إلى الأخذ بالقوة فإنه زودهم بعناصرها حتى يبقى كيأنهم مصوناً . وكى يستطيعوا أن يفوموا برسالتهم الإنسانية التى انتدبهم الله لها وحملهم خلعاءه فيها وشهداءه عليها . ومع أمره تعالى بإعداد أقصى القوة فإنه تبارك وتعالى جعل رسالتهم رسالة الأمن والسلام وما الحرب فى الإسلام إلا ضرورة من الضرورات التى يلجأ إليها الإسلام بعد بذله كل شىء فى طريق الأمن والسلام . وهو لا يحب الاعتداء مطلقاً إلا على من اعتدى عليه قال تعالى :  
« وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » (البقرة آية ١٩٠) .

• • •

# القوة والسلام في الإسلام

لا نعدو الحقيقة والواقع إذا قلنا إن الإسلام دين السلام والسلام  
مبدأ من مبادئ الإسلام العظيمة . ودعوة السلام ليست جديدة علينا  
ولا عربية عنا وإنما هي دعوة استقرت في ضمائرنا وجاء بها إسلامنا  
وقد عمق لإسلام جنود هذه الدعوة حتى أصبحت عقيدة فينا . لقد  
نادى الإسلام منذ طلع فجره وأشرق نوره بالسلام ووضع الخطة  
الرشيده التي تصل بالإنسانية إليه ولفظ الإسلام الذي هو عنوان على  
هذا الدين . مأخوذ من مادة السلام لأن السلام والإسلام يلتقيان في  
توفير الطمأنينة والأمن والسكينة . ورب هذا الدين تبارك وتعالى من  
أسمائه « السلام المؤمن » لأنه يؤمن الناس بما شرع من مبادئ وبما رسم  
من خطط ومناهج أرسل بها خير البشر وصفوة الدنيا وخلاصة الإنسانية  
وهم أنبياؤه ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام .

وحامل رسالة الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو  
نفسه حامل راية السلام لأنه يحمل إلى البشرية الهدى والنور والخير  
والرشاد والمحبة والوثام وهو عليه الصلاة والسلام يحدث عن نفسه

يقول: «... حمة مهلهة» وتعد امرأتك عن مسلكك يقول  
«وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (التوبة: ١٠٧) ونحوه نُسب  
في تزلف محبوب وتوقى أخطاب وترى الإنسان بأجبه الإنسان  
هي سلام، وبدل السلام للناس وافشاؤه جزء من الإيمان وقد جعل الله  
تحية المسلمين بها اللغز للاشعار بأن دينهم دين سلام والأمن والسلام  
أهل السلم وعمو السلام وفي الحديث شريف يقول الرسول عنه تصلاه  
والسلام: «إن الله جعل السلام تحية لأمت وأماناً لأهل دمهتا» وما يسعى  
الإنسان أن يكلم بسائاً قبل أن يدهه بالسلام يقول رسولنا الكريم صلى  
الله عليه وسلم: «السلام قبل الكلام» وسبب ذلك أن السلام أمان،  
ولا كلام إلا بعد الأمان. ويسمى مكاف وهو به حتى ربه أن يسلم على  
نبيه وعلى نفسه وعلى عدا الله لصالحين. فإذا فرغ من حاجاته لله  
واقبل عن الدنيا أقبل عنها من جانب السلام ولرحمة ولبركة

وفي ميدان الحرب والقتال. إذا أجرى المقاتل كلمة السلام على  
لسانه وحب لكف عن قتاله. يقول الله تبارك وتعالى: «ولا تقولوا لمن  
أتى إليكم السلام لست مؤمناً» (سورة النساء: ٩٤)

وتحية الله للمؤمنين سلام - «تحيتهم يوم يلقونه سلام»  
(الأحزاب: ٤٤)

وتحية الملائكة للبشر في آخرة سلام «والملائكة يدخلون عليهم  
من كل باب سلام عليكم» (الرعد: ٢٣). ومستقر الصالحين دار الأمن  
والسلام «فم دار السلام عند ربهم» (الأعام: ١٢٧)

وكثرة تكرار هذا اللفظ - السلام - مع إحاطته بالحو الديني  
النفسي . من شأنه أن يوقظ الحواس جميعها ويوجه الأفكار والأنظار  
إلى هذا المبدأ السامي العظيم . مبدأ السلام الذي قلنا إنه من مبادئ هذه  
الرسالة الربانية السامية . الإسلام .

والإسلام حينما دعا إلى القوة وأمر بإعداد القوة جعلها قوة موجهة  
ببساطة تحافظ على الأمن والسلام . وترهب أعداء الله حتى يحصل التوازن  
في القوة وبهذا يحفظ السلام قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من  
قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .  
( الأنفال : ٦٥ )

ومن النظر في هذه الآية الكريمة يرى المدقق في كلماتها النبرة  
لفظ القوة المنكر فهو يفيد العموم في كل قوة وكل ما يطلق عليه اسم  
القوة برية أو بحرية أو جوية فالمسلمون مأمورون بأن يعدلوا لأعدائهم  
أقصى قوة عرفها عصرهم ، واللفظ الآخر قوله تعالى : « ترهبون به »  
ولم يقل تستعبدون أو تستذلون أو تعتنون . ولكن قال تعالى :  
« ترهبون » وإذا عرف عدوك إنك قوى ومسلح رهك وكف عن  
حربك وهنا يحفظ السلام ويكون التوازن بين الحكومات والشعوب .  
وهذا ما يسمى بالعرف الدولي الحاضر بالسلم المسلح .

فالإسلام أول من دعا بهذه الدعوة « السلم المسلح » . في الدنيا ،  
وما كانت الفتوحات الإسلامية والحروب التي خاضها الإسلام  
إلا لأغراض سامية وأهداف عالية أرادوا بها للناس الهداية والرشد .

لا كما يقول أعداء الإسلام إن الفتوحات الإسلامية كانت لغايات اقتصادية أو أهداف توسعية .

إن الإسلام يهتم بدعوة الناس إلى السحول في هدايته لينعم العالم بهذه الهداية ويستظل بظلها الطليل الورف ، والأمة الإسلامية هي الأمة المنتدبة من قبل الله لإعلاء دينه وتليح وحيه وهي منتدبة كذلك لتحرير الأمم والشعوب . وهي بهذا الاعتبار كانت خير الأمم ، وكانت مكانتها من غيرها مكانة القيادة والريادة وما دام الأمر كذلك فيجب عليها أن تحافظ على كيانها . وتنافع لتأخذ حقلها بيدها أو تجاهد لتتبرأ مكانتها التي وضعها الله فيها وكل تقصير في ذلك السبيل يعتبر من الجرائم الكبرى التي يجازى الله عليها بالذل والانحلال أو الفناء والزوال .

وقد نهى الإسلام عن الوهن والدعوة إلى السلم طالما لم تصل الأمة إلى غايتها ولم تحقق هدفها واعتبر السلم في هذه الحالة لا معنى له إلا الجبن والرضا باللون من العيش وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى :  
« فلا تنهوا وندعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »  
(سورة محمد آية ٣٥)

أي أنتم الأعلون عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وعلماً وعملاً ونصراً وتأييداً .

فالسلم في الإسلام ليس معناه الاستسلام بل لا يكون إلا عن قوة وكفاية واقتدار ، لذلك لم يجعله الله مطلقاً بل قيده بشرط أن يكف العدو عن العدوان وبشرط ألا يبقى ظلم في الأرض ، وألا يفتن أحد

عن دينه . فإذا وجد أحد هذه الأسباب فقد أدن الله بالقتال والجهاد في سبيله وفي اجتهاد تسترخص الأنفس ويصحى به بالمهيج والأرواح .

ولا يوجد دين من الأديان دمع بأهله إلى حوض نعمات الحروب وقذف بهم إلى ساحات القتال في سبيل الله والحق وفي سبيل المستضعفين ومن أجل الحياة العزيزة الكريمة ومن أجل العقيدة الحققة غير الإسلام بل حصل لإسلام الجهاد هو الإيمان العملي الذي لا يكمل الدين إلا به قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » . ( المعكوب آية ٢-٣ ) ويوضح سبحانه وتعالى أن هذه سنة الله مع المؤمنين وأنه ليس للنصر ولا للجنة سبيل إلا الجهاد . قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الأساء والصراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » . ( البقرة : ٢١٤ )

ويكشف سبحانه وتعالى عن نفسية المؤمنين، وأن من شأنها الاستماتة في الدفاع . فهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما قاتلين وإما مقتولين . فيقول تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » . ( التوبة : ١١١ )

وفي الحالة الأولى لهم النصر . وفي الثانية لهم الشهادة وكلاهما مطلب عظيم يسعى إليه المؤمنون ويرحون الله أن يكرمهم به .

« قل هل توبصون بنا إلا إحدى احسنين ونحن توبص بكم أن  
بصبيكم الله بعداب من عنده أو بأيدينا فترصوا إنا معكم متربصون » .  
(التوبة آية ٥٢)

هذه ملامح مختصرة عن عناصر اقوة في الإسلام والمسلمون اليوم  
مدعوون إلى أن يعيدوا النصر في موقفهم ويعاوا ليوم العدة عدته فإن  
أعداء الإسلام من كل حدب وصوب قد شمروا عن ساعد الحد ،  
ورهبوا أنفسهم للشيطان وأعدوا عدتهم لحرب الإسلام وإبادة المسلمين  
وتأمروا وتحافوا والكفر ملة واحده ونحن إذ نقول هذا نعلم يقيناً أن  
الله سيجعل كيدهم في نحورهم وسيقتصر الإسلام رغم أنوفهم ولكن  
الربيل على من قصر من المسلمين واويل على من تخلف في ساعة العسرة  
وهذا أوانها وهذا يومها الشديد .

فعلى المسلمين أن ينتهوا إلى ما يراد بهم وبديارهم وأمتهم ودينهم  
ويجمعوا كلمتهم ويعتصموا بحبل الله المتين وقبل كل شيء أن يعودوا  
إلى ربهم عوداً حميداً ويلجأوا إليه بجرأة صادقة ويعتصموا به تعالى  
ويعبدوه حق عبادته ويجاهدوا في سبيله حق جهاد ويخلصوا له تعالى  
اقول والعمل وسيرون بعد ذلك كيف يأتيهم النصر من عند الله ويومئذ  
يفرح المؤمنون بنصر الله .

تسأل الله أن يحقق ذلك اه تعالى نعم المولى ونعم النصير واحمد الله  
رب العالمين .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## سعى تقنى لله .. وسعى تبقى

هذه خلاصة محاضرة كنت قد ألقيتها في مقديشو عاصمة جمهورية الصومال . إذ ذهبت إليها مبعوثاً خاصاً من قبل الملك المسلم الشهيد فيصل بن عبد العزيز رحمه الله وأسكنه الجنة . وكان يرافقني في رحلتي هذه الأخ الأستاذ نعمان طاشكندى وكان يومها مديراً لجريدة النلوة الغراء التي تصدر بمكة المكرمة ولما عدنا من الرحلة كتب سلسلة من المقالات كانت هذه إحداها ، ونشرت في يوم الثلاثاء ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٩١ بجريدة النلوة . . ولارتباط هذا الموضوع بكتابي هذا أحببت أن أنقلها كما هي من غير تصرف والله تعالى الموفق .

« الصراف »

## قالت جريدة النور :

وفي مساء : كان موعد المحاضرة الثدية بمسجد مرواس أكبر مساجد مقديشو العاصمة وفي هذا المسجد الجامع الكبير . كقط ألوف من المواطنين من مختلف الطبقات من العلماء وبعض أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والعسكريين من ضبط الحيش والبوليس ، وكبير المواطنين وقضاة ، وعدد كبير من رجال التربية والتعليم ، وأعضاء البعثة التعليمية الأزهرية وألوف من الشباب من مختلف فئاته ازدحم بهم جميعاً المسجد الكبير برحته لواسعة ومدحه الجانبي ، حتى لم يبق مكان لموضع قدم كما تملأت الشوارع المحيطة بهذا المسجد بعدد من المواطنين لا يحصيه عد . . يستمعون من خلال مكبرات الصوت التي كانت تنقل إليهم وقائع المحاضرة الإسلامية .

الواقع أنني رأيت مشهداً دينياً مؤثراً ، وجمعاً إسلامياً حاشداً ، لم أشهد مثله من قبل في حياتي ، كثرة في العدد والتفافاً حول الآراء المعروضة والتزاماً ووفاء للدين ومشاعر حب صادقة منطلقة ، وحرصاً على سماع كل كلمة ، يطق بها مبعوث إمام المسلمين فيصل ابن عبد العزيز ، وحامل تحيات سكان الحرمين الشريفين والمملكة العربية السعودية . . الشيخ الداعية الإسلامي محمد محمود الصواف ، إلى الشعب المسلم بالصومال الشقيق .

والصومال ذاتها لم تشهد مثل هذا الاجتماع الديني الكبير المؤثر ، كما ذكر ذلك وأكله بعض المسئولين الصوماليين .

وبعد صلاة المغرب مباشرة بدأت المحاضرة التي استمرت حوز ساعة ونصف الساعة بالقرآن الكريم وبعد تلاوة آى من لذكر احكيم قدم مدير لشئون الدينية بالصومال المحاضر الشيخ محمد محمود الصواف . ووسط مظاهر رائعة من الإجلال والمحبة بدأ الشيخ الصواف محاضرته لتي قُتطع منها بعض الفقرات قال الشيخ الصواف . إن لكل أمة قواعد ومفومات وأساسا ، ترتكز عليها ، ولكل أمة حضارية أخلاق ومث وسمات بارزة تتميز بها وتحافظ عليها . وهى تبقى ما بقيت لها هذه لقواعد ولأسس لدهى فهى تجاهد من أجلها . وتدافع للحفاظ على كيانها وبقائها وأصالتها . لأنها تعم أنها إذا فقدت أخلاقها ومفوماتها وقواعد دينها ومثلها العليا ، فقد مسحت وفنت وزالت من الوجود وإن بقي رجالها ونساؤها وشبابها .

والأمم فى الواقع لا تبقى فناء مطلقاً ، ولكن الذى يبقى هم الأفراد يد يموتون وينقلون إلى الدار الآخرة .

أما الأمة فهى باقية ما بقيت لها أصالتها ولغتها ودينها وأخلاقها وقواعد حضارتها المتميزة عن الأمم الأخرى . أما إذا فنت فيها هذه القواعد وخسرت دينها ومثلها وأخلاقها وعاداتها وثقافتها وقلدت غيره ، من الأمم تقليداً أعمى وأخذت عنها وسارت وراها من غير تبصر ولا تعقل . فما هنا الزوال وما هنا الفناء والوبال فإذا تبدل دينها وفسدت أخلاقها وتغيرت آدابها ولغتها وعاداتها ماذا يبقى لها غير الأسماء التى لا تبدل على منمياتها .

أود هذا أن أصرب لكم بعض الأمثلة من الأمم السابقة التي سادت  
ثم بادت كما يقول المؤرخون وقد كانت لها حضارات معروفة  
وكبار مستغل وشخصية قائمة ولكنها انتهت ورالت وفنيت في أمة  
أخرى وإن بنى أحقادها ورجالها ونساؤها .

وهذه الحضارات الفينيقية والآشورية والمرعونية .

يقولون إنها سادت ثم بادت . والبايد إنما هو الزائل الفاني  
وقد زالت هذه الحضارات وبادت حينما زالت حضارتها وتبدلت  
أشكال حياتها ، وتغيرت حقيقة عقيدتها ، وزالت لغتها وأصبحت  
كلها بعد هذا التعبير أمماً أخرى لا تمت إلى تلك الحضارات البائدة  
بصلة ما .

فالأشوريون في العراق انتهوا وبادوا وإن بقيت لهم آثار وأحفاد  
من الناس ، والعراق أمة عربية مسلمة لا ارتباط لهذا الشعب العربي  
المسلم بتلك الأمة البائدة من الآشوريين ، وكذا الحال بالنسبة إلى  
الفينيقين في سورية ، وكذا المراعاة في مصر ، فسورية ومصر بلدان  
عربيان مسلمان لها كما للعراق وبقية البلاد العربية والإسلامية حضارتها  
وثقافتها ودينها الحنيف وأصالتها ولغتها وأخلاقها المتميزة وما من  
أحد يعتز بدينه ، ويؤمن به وحضارته وأصالته ويلتزم بأخلاقه  
وأخلاق أمته ، ويحافظ على عاداته الموروثة ويستمسك بتقاليد أمته  
ما من أحد يؤمن بكل ذلك يستطيع أن يشارك في مسخ أمته وتغيير  
معالمها وأصالتها وحضارتها

• • •

ومثل آخر : الأندلس ، كما تعلمون كانت بلاداً إسلامية وعربية ، ولو لاحظت اسم أى إنسان منهم لرأيت اسم الجد الخامس أو السادس عبد الرحمن أو محمد . واسمه اليوم مارسيل أو أبطون أو ميشيل .

هل نستطيع أن نسمى أسبانيا اليوم - أندلس الأمس أمة إسلامية أو عربية . . لا ، لأن دينها تبدل وحضارتها تبدت ، فسخت ، وأصبحت شيئاً آخر .

ونحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم بنا مقومات وك صفات ، ولنا أصالة ولنا حضارة ، ولنا لغة ودين وقرآن ، فمن حول أن يحرفنا عن ديننا وحضارتنا ولغتنا ، فإنه يحاول أن يزيلنا من الوجود . . ومن حاول أن يربينا غير التربية المحمدية وغير التربية الإسلامية ، وأن ينطقنا بنير العربية ، ويحول عقيدتنا من عقيدة التوحيد ، إلى عقيدة الشرك ، والعبادة بالله وإلى عقيدة الملحددين والمنحلين من العلمانيين أو الشيوعيين الحاليين وأن يعطب فينا تجارب أولئك الذين ضاعوا أو تاهوا في الكون ، لا يدرون ما هي عقيدتهم ولا إلى أين هم سافرون .

هؤلاء الذين يفعلون ذلك أو يحاولون ذلك ، يمسخون أنفسهم ولا تبقى لهم عروبة ولا إسلام .

أيها الإخوة : لو رأيتم شاباً أطال شعره وأظافره ولبس الضيق من الثياب ومشي في القلندر وفعل المنكر . . لقلتم عنه رأساً ، هنا نحنس . . هنا من الخنافس أو الهيز ، لماذا لأنه انسلخ من حضارته وعاداته وانسلخ من عروبه وإسلامه . . شكله تغير . . وعقيدته تغيرت ، وحضارته

تغيرت فسخ ، وأصبح مرداً آخر اسلح من أمته وانتمى إلى هذه القنات  
الضالة الضائعة .

هذه المقلعة . أردت أن أقدم بها اليوم لخدثي إليكم ، وأعلم أن  
كل واحد منكم غير على دينه وحضارته ولغته وثقافته الإسلامية  
العربية .

إن الأمم ذات الحضارات العظيمة لا تفرط في حضارتها فالحضارة  
أمانة ، وواجب لأسلاف أن ينقلوها إلى الأجيال ، إلى الأجيال  
التي تليهم . . ونحن واجنا أن نأخذ حضارتنا ونحافظ على ديننا  
ومصلر قوتنا ، ونستمسك بها ثم ننقلها إلى من بعدنا من أبنائنا وشبابنا ،  
ونسائنا وقتياننا إذا نقلها بأمانة حفظها ، وإذا لم نرب أبنائنا على  
تربيتنا عاشوا عيشة أخرى وضيعناهم ، وضيعنا لأمانة ، إذا لم نربهم  
على الإسلام مسخوا إلى شكل ليس هو منا ولستنا منه .

ولأضرب لكم مثلاً بالأمم ذات الحضارة الحديثة . . لا أريد أن  
أغرق في التاريخ بل سأضرب أمثلة من العصر الحاضر . . من  
أمريكا وروسيا .

إن أكبر مرب في أمريكا ، بسمونه ( جون ديوى ) هذا المربي  
الأمريكي يقول : إن التربية بضاعة محلية ، لا تستورد ولا تصدر ،  
كل أمة لها تربية مستقلة بلاتها ، محتفظة بتاريخها ، ويقول :  
إننا أعطائنا حيناً جثنا ببعض الإنجليز ، يربون جيلنا ، لأنهم  
حرفوه إلى التربية الإنجليزية . . ولم يوجهوه إلى التربية الأمريكية

الصرقة . . . ولذلك استغنيا عنهم ، ولن نسمح للمدرس غير  
أمريكي أن يدخل مدارسنا ، ويعلم جيلاً كما يريد ، إنما الذي يربى  
أجيالنا هم الأمريكان وحدهم انظروا الأمة التي تريد النقاء . . . تريد  
أن تحتفظ بحضارتها وقوتها . . . تبقى وتحتفظ بنوعية تربية أجيالها ،  
وهذا أيضاً ما قاله هرب سوفيني كبير . . . قال هذا المربي  
في كتاب أصله . . . إننا ندرس التكنولوجيا ولعلوم الأخرى  
لأبنائنا ، ونرني إلى جانبها الفكر الاشتراكي ، وكل إنسان يريد  
أن يتحول عن الفكر الاشتراكي ، لن نسمح له بدخول مدارسنا . . .  
إننا نريد أن نرني إلى جانب الفكر الصناعي والطبي والهندسي التربية  
الاشتراكية . . . التزاماً بنحط وتربية ماركس وليس ، ولن نسمح لغير  
شيوعي ، حتى ولو كان من روسيا ، أن يدخل مدارسنا ويربي  
أبنائنا .

هاتان الأمتان ، أمتا الحضارة في عالم اليوم أضرب بهما مثلاً  
كيف أن كل دولة منهما تريد أن تحتفظ بحضارتها ، وشبابها وتربية  
على خط حياتها وحضارتها وتربيتها حفاظاً على وجودها ، كيف كان  
هذا الوجود وهما تعلمان لو أهما لم تفعل ذلك لتحولت الأجيال عن  
حضارتها وواقعها الحالي .

## تعليق الجريدة على المحاضرة

وبعد ذلك واصل الشيخ الصواف حديثه عن التربية الإسلامية وأثرها لدى الأمة العربية . .

ولكني أريد أن أقول : إن أهمية هذا الكلام وتوجيهه إلى وزارة التربية هناك بالذات ، وفي كل بلد إسلامي عامة . . تأتي هذه الأهمية لأنها جاءت في ثاني يوم من محاضرة ألقاها وزير التربية الصومالي الذي كان قد عاد لتوه من كوريا الشمالية ، وتحدث في تلك المحاضرة عن التجربة الكورية الجديدة في مجال التربية ، وإمكان الاستفادة منها في الصومال .

إن محاضرة الشيخ الصواف هذه إذا كانت موجهة في الدرجة الأولى إلى رجال التربية والتعليم في البلد المسلم الصومال ، وكدعوة مغلصة لحماية الثقافة الوطنية من أن تشوبها تجارب الأمم الأخرى ، فإنها بلا شك تصلح كذلك . . أن تكون صرخة تحذير لنا هنا أيضاً ، وفي كل بلد نام ، يحاول أن يتقدم . . في العالم الثالث . . إن الاستفادة من معطيات الحضارة الحديثة في مجال التكنولوجيا والهندسة والطب والصناعة وغيرها شيء . . ونقل الفكر العقيدى والثقافى للشعوب الأخرى شيء آخر .

إن الاستفادة من معطيات الحضارة الحديثة واجب ، ومسئولية ، وعمل وطني ، وذكاء ووعى ، وإيمان ، أما نقل ثقافة الشعوب

الأخرى وفكرها ومعتقداتها ، ونقل تجاربها في المجال التربوي . عمل  
لا مسئول ، وعدم قناعة بقدر العطاء الفكري للبلد ذاته ، ومحاولة  
للمسخ لا يقدم عليها إلا الذين مسخت أفكارهم وإلا الذين يريدون  
لأمنهم أن تمسخ ، وأن تضيع ، وأن تلوذ . وما يفعل ذلك إلا الضالون  
وما يفعل ذلك إلا الذين لا يؤمنون بقدرتهم على العطاء الصحيح ، وهل  
هم إلا جاهلون ومضيعون .

وما من أحد يؤمن بحضارته ، ويعتز بثقافته ، ويلتزم بدينه ويحافظ  
على عاداته . الموروثة ويستمسك بتقاليد أمته المعطاء وما من أحد يؤمن  
بكل ذلك يستطيع أن يقدم على شيء من ذلك . . أخيراً من يملك  
ناجزاً لا يبحث عن تجارب .

• • •

## في القرآن العظيم

### قصة وعالية غنى كبير بطر النعمة وكفرها

إنها قصة قارون الغني الكبير ، الذي كان من قوم موسى عليه السلام وكان ابن عمه أي ابن أخي أبيه الشقيق ، فبغى وتجر ، وتكبر . واطر النعمة ، وأنكر فضل الله عليه ، وزعم أنه أوتي المال على علم عنده . ولم يعلم بأن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، وخرج على قومه في زينته بطراً متجبراً ، متكبراً متبخراً ، فقال أهل الدنيا ومحبوها وعاشقوها : « يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لنو حظ عظيم » . ( القصص آية ٧٩ )

أما المؤمنون الصادقون المستبصرون ، والذين أوتوا العلم والفقه والدين . فقالوا لأولئك البسطاء الجهلاء البلاء من عشاق الدنيا وعابديها والذين أعماهم بريقتها وحبها وزينتها الزائلة والفانية فقالوا لهم : « ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون » . ( القصص آية ٨٠ ) وجاء حكم السماء ، ونزل بطش الله العزيز الحكيم ، وذهب المال وصاحب المال البطر الأشر . والدار التي جمعت الكنوز التي كانت تنوء بالعصبة أولى القوة مفاتيحها . والعصبة قد يصل رجالها إلى أربعين رجلاً . ومع هذا لا يستطيعون حل مفاتيح الكنوز التي

أوتيتها قارون . فماذا كان بعد ذلك ؟ الخسف والهوان والضياع ،  
والذل والعذاب الدائم ، والأسف والتدم لأولئك الذين تموا مكانة  
قارون بالأمس من أهل الدنيا وعشاقها وقالوا : « لولا أن آمن الله  
علينا لخسف بنا . ويكأنه لا يفلح الكافرون » ومعنى قوله تعالى :  
« ويكأنه » : ألم تر أنه لا يفتح الكافرون .

أكتفى بهذه الكلمات لأسوق لقارئى الكريم الآيات القرآنية التى  
وردت فى شأن هذا الغنى الجبار المتكبر المتجبر . وكم فى عصرنا وزماننا  
من أمثال هذا القارون ! ، ولكن أين المعتبرون ؟ والمستبصرون  
والمفكرون ؟

قال الله تبارك وتعالى فى آخر سورة القصص :

« إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز  
ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله  
لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك  
من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن  
الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد  
أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن  
ذنوبهم الجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة  
الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين  
أوتوا السلم ويلكم فواب الله عبر لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها  
إلا الصابرون . فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه

من دون الله وما كان من المنتصرين. وأصبح الذين تموا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن «من الله علينا نحسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون» .  
( القصص : ٧٦ - ٨٢ )

والنتيجة النهائية بعد هذه الآيات الكريمة الثورات ، والتي فيها من العظات الباهرات ، ما يكفي دوى العقول ثورات ، النتيجة الحتمية والخلاصة الكاملة هي : كما قال تعالى بعد تلك الآيات كلها وبعد بيان مصير النفي الكبير قارون . قال وهو أصدق القائلين سبحانه وتعالى :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً  
والعاقبة للمتقين » .  
( القصص آية ٨٣ )

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين .

• • •



# كلمة غنائس المهدي

وددت أن أختتم هذا الكتيب الصغير بآية وقصة وخبر وفيها عبرة لمن اعتبر . وليعلم الناس عظمة الله ، وجلال الله ، وسعة رحمته عز وجل التي وسعت كل شيء ، وأنه تبارك وتعالى ما توجه إليه أحد من عباده بالتوبة الصادقة ، إلا عمه بالرحمة ، وشمله بالمغفرة والرضا ، بل وأكثر من ذلك تكرم وتفضل بمبدل سيئات وذنوب العبد الثابت إلى حسنات ، وهو عز وجل الغفور الرحيم ، الذي يغفر لزلات ، ويقيل العثرات ، ويمحو السيئات .

قال الله تبارك وتعالى بعد أن ذكر أصنافاً من المنكرات التي قد يقع فيها بعض العباد: « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً » . (الفرقان آية ٦٨ - ٧٠)

أرأيتم إلى عظمة الله ، وفضل الله ، على عباده كيف يغفر الذنوب جميعاً ويبدلها إلى حسنات ؟ . وأرحى آية في كتاب الله كما يقول العلماء هي قوله تعالى مخاطباً نبيه العظيم محمداً صلى الله عليه وسلم ، أن يقول

ويبلغ عباد الله الذين أسرفوا على أنفسهم ووقعوا في الذنوب والسيئات  
والعثرات قال تبارك وتعالى :

« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله  
إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » ( الزمر آية ٥٣ ) .  
وأبواب الجنة كلها مغلقة إلى أوانها وإبانها عند البعث والنشور  
إلا باب التوبة ، فإنه مفتوح للتائبين متى تابوا ، وأتابوا إلى الله ،  
وصلحوا مع الله ، وكفوا عن محارمه . فإنهم ينالون رحمته ويدخلون جنته  
التي أعدها الله للمتقين والصالحين من عباده وجنده الطيبين الطاهرين .

وسنة الله عز وجل مع الأفراد في مغفرته للتائبين وعفوه عن المذنبين .  
هي هي سنته سبحانه وتعالى مع الأمم والشعوب فالأمة التي تعود إلى  
طريق الرشاد وتصدق اتوبة والإجابة إلى رب العباد ، يفتح الله لها ،  
ويرفع من شأنها ، ويعيدها إلى عزتها ومجدها . وينقذها من وهديها  
التي انحلت إليها وينجيها من الخطوب التي هوت إليها ، نتيجة  
للذنوب التي ارتكبتها والمنكرات التي أشاعتها ، بل ويمتعها الله عز  
وجل بحياة سعيدة مديدة ويجعل لها الصولة والسلطان ورزقها الأمن  
والأمان ، ويستخلفها في الأرض ويمكن لها في الأرض وينشر  
دينها ومبادئها . قال الله تبارك وتعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض  
كما استخلف الذين من قبلهم . ويمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم  
وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » .  
( النور آية ٥٥ )

وهنا وددت أن اضرب امثل وأذكر الآية والقصة التي أحببت أن  
أنتم بها كتابي هذا لئني أرجو الله أن ينمعه به ويجعله خالصاً لوحه  
الكريم .

أما الآية فهي قوله تعالى في سورة يونس :  
« فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها . إلا قوم يونس لما آمنوا  
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين » .  
( يونس آية : ٩٨ )

وقصة هؤلاء القوم ، وهم قوم يونس عليه السلام في مدينة نينوى  
التي تقع شرق مدينة الموصل في شمال العراق ومعنى الآية الكريمة وقصة  
القوم كما يقول المفسرون وعلى رأسهم الإمام الطبري رحمه الله معنى الآية :

يقول الله عز وجل : « لم تكن قرية آمنت فنفعها الإيمان إذا نزل  
بأمر الله . إلا قوم يونس » قيل : إنهم لما أظلمهم العذاب ، ووطنوا  
أنه قد دنا منهم وفضلوا يونس عليه السلام قذف الله في قلوبهم التوبة  
وفرقوا بين كل أنثى وولدها ، « وعجوا إلى الله أربعين ليلة - أي رمعوا  
أصواتهم بالتلبية والدعاء - فلما عرف الله صدق توبتهم كشف عنهم  
العذاب وقال : « ومتعناهم إلى حين » أي لم نعالجهم العقوبة واستمتعوا  
بأجلهم في الدنيا إلى حين مماتهم وقت فناء أعمارهم هذا ما ذكره  
الإمام الطبري رحمه الله وبعض المفسرين الآخرين وانظروا إلى قوله :  
« وعجوا إلى الله أربعين ليلة . حتى كشف عنهم العذاب » .

وما أحوج أمنا اليوم أن تعج إلى الله ، وتتوب إلى الله ، وتنب

إلى الله . ليرفع عنها ما هي فيه من الدل وادهاة والخيبة والاستكانة  
ويعيدها إلى محدها وعزها ، ويولى أمورها حيارها ، ويجبها تولية  
اصغار والفجار من الأئمة المضلين الذين يهدم بهم الإسلام وتشقى بهم  
الأمم والشعوب . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأحد الصحابة :  
أتدري ما يهدم الإسلام ؟ قال . لا . قال رضى الله عنه . ( زنة العلماء  
وجدال المنافقين ، وحكم الأئمة المصين )

سأل الله السلامة والهداية والرشد والحمد لله رب العالمين وصلى الله  
وسم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد محمود الصواف  
مكة المكرمة

## كتب المؤلف

- ١ - صوت الإسلام في لعراق . نقد .
  - ٢ - نداء الإسلام . نقد .
  - ٣ - معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم . نقد .
  - ٤ - المسلمون وعم الملك . نقد .
  - ٥ - عبدة المسلمين في معاني الفتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين . نقد .
  - ٦ - تعليم الصلاة وهو مترجم أيضاً إلى الإنكليزية والفرنسية والأوردية .
  - ٧ - الصيام في الإسلام .
  - ٨ - زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الصاهرات وحكمة تعددهن .
  - ٩ - رحلاتي إلى اسيار الإسلامية - أفريقيا المسلمة وصفحاته تزيد على الثمانمائة صفحة مع الصور والحرائط . نقد .
- المكتبة القرآنية وقد صدر منها ثمانية أجزاء وهي :
- ١٠ - القرآن العظيم آثاره أنواره فصائله تفسيره حتمه .
  - ١١ - أم القرآن وخير ثلاث سور أنزلت .
  - ١٢ - نظرات في سورة الحجرات .
  - ١٣ - بين الرعاة والدعاة .

- ١٤ - القيامة رأى العين .
- ١٥ - من القرآن وإلى القرآن - الدعوة والدعاة .
- ١٦ - البأ العظيم والقرآن العظيم .
- ١٧ - ثلاث سور من الدرر في إطرء سيد البشر .
- ١٨ - صرحة مؤمنة إلى الشباب والشابات .
- ١٩ - لا اشتراكية في الإسلام .
- ٢٠ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام .
- ٢١ - الربا في نظر الإسلام وموقف العلماء منه .
- ٢٢ - ديوان الخطب لعلامة الموصل الكبير الشيخ عبد الله النعمة  
رحمه الله تقديم ونشر وتعلق تلميذه : محمد محمود الصواف .
- ٢٣ - أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب .  
وهو هذا الذي بين يديك .

• • •

فخریہ الکتاب



الصفحة	الموضوع
٥	ثلاث آيات من كتاب الله
٧	المقدمة
١٠	المثل الأول : عاد وثمود
١١	المثل الثاني : قصة سبأ
١٣	المثل الثالث : قصة أهل ضروان
١٦	قصة أهل ضروان في الحديث
١٧	قصة أهل ضروان في قصيدة
١٨	قصة ضروان شعراً
٢٣	العوامل الخطيرة التي تهدم بنيان الأمم
٢٨	أسئلة وأمثلة
٣٨	موت القلوب
٣٩	قصة وعبرة
٤٣	الاعتماد على الرحمة
٤٥	الاستدراج
	حديث للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وقصة ملك النوبة
٤٨	الحكيم
٥٦	عناصر القوة في الأمة
٩٣	

الصفحة	الموضوع
٦٦	القوة والسلام في الإسلام
٧٢	متى تقبى الأمم .. ومنى تبنى
٨١	في القرآن العظيم قصة وعاقبة غنى كبير بطر النعمة وكفرها
٨٥	كلمة ختامية مهمة
٨٩	كتب للمؤلف

# يُوزَعُ بِجَنَانًا